



# حنان قليل

نوال السعداوي



لاداب



منان قایل



نوال السعداوى

# حُنا قايِل

مَنْشُورَات دَارِ الْآدَاب - بَيْرُوت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

القاهرة

الطبعة الثانية

١٩٨٦ - بيروت

الطبعة الثالثة

١٩٨٩ - بيروت



## مہمانِ قایلے

کانت تجلس القرفصاء علی بلاط الحمام البارد ، وجسمها الضئیل الضامر ینتفض من البرد ، واسنانها تصطک ۰۰  
واخذت تتلفت حولها فی الحمام الواسع مذهولة ۰۰ اهذا هو الحمام ؟ ۰۰ لم تكن تتصور أنه یمکن أن یمکن فی العالم حمام بهذا الشكل ، فإن الحمام الوحید الذی رآته فی حیاتها هو حمام العمدة ۰۰ وقد دخلته مرة واحدة صدفة حیثما كانت تلعب « المساکة » مع ابنة العمدة ، وابنة شیخ الغفر ودخلت لتختفی فی حجرة فی آخر الدوار ، قالت عنها ابنة العمدة إنها الحمام ۰۰ ورات فیہ طشتاً کبیراً ، وزیراً ، وفنطاساً ضخماً فی نهايته صنبور صغیر ، ولم تكن قد رات صنبوراً قط فی حیاتها ، أو حماماً ۰۰ وكان کل ما رآته فی دار أبیها طشتاً وكوزاً من الصفیج تنقلهما أمها من قاعة الی قاعة كلما رغب فرد من أفراد البیت فی الاستحمام ۰۰ وكانت ترى أمها تضع فی هذا الطشت نفسه الدقیق لتدخله ، وفی موسم

الحصاد ترى الطشت مملوءا بالشعير ، وفي موسم « الذرة »  
مملوءا « بالذرة » .

وتلقت حولها في دهشة ، ومسحت بطرف جلبابها عينيها  
الملتهبين وأنفها ، وأخذت تُأمل ذلك الشيء الأبيض اللامع  
الذي يشبه الحوض الواسع ، والذي لو ملأ بالماء لفرقت فيه  
.. وتلك الصنابير الفضيّة الكبيرة التي تعلوه ..

ورأت حوضاً آخر صغيراً معلقاً في الحائط تعلوه أيضاً  
صنابير كبيرة براقّة .. ورأت شيئاً عجيباً أبيض يشبه الكرسي  
وليس بكرسي .. وشيئاً آخر يشبه سلطانية الشوربة ولكنه  
كبير الحجم جداً يتسع لسدق جدي أو خروف ..  
وكفكت دمعها وأخذت تتحنّس بيديها السمرالوين الحشنتين  
أرض الحمام اللساء الناعمة في مثل نعومة الصحن المصنوع  
من الخزف ..

— بت يا بهيّة .. يا بهيّة ..

جاءها صوت رفيع حادّ من خلال باب الحمام المغلق ..  
فانقضت لسماع اسمها .. ووقفت مدعورة حائرة .. ماذا  
تفعل ..

أصبح الصوت الرفيع أكثر حدة فارتجفت بهيّة وهي  
تمسك بأكرة الباب البراقّة تحاول أن تلوّيها لتفتح الباب ،  
ولكن الأكرة أبت أن تتحرّك فالتصقت فمها بالباب وقالت  
بأعلى صوتها كما كانت تنادى على أمّها في الحقل :  
— ده أنا جوه فى الى اسمه ايه الحمام مش عارفه أطلع ..  
ووقفت بهيّة مشدوهة حينما رأت أكرة الباب تتحرّك  
وحدها ثم يفتح الباب .. ورأت أمامها امرأة بضّة نظيفة ..  
ثم رأت يد المرأة ترتفع الى أعلى ، ثم تهوي على وجهها النحيل  
في لكمة قوية ..



— انت قاعده جوه الحمام بتعملى ايه .. مين قالك تدخل  
هنا ؟

— معملش يا ستى .. والنبي يا ستى .. ربنا يخليكى  
ياستى .. مش أنا والنبي .. ده الراجل عبده الى عندكم  
قال لى اقعدى هنا لغاية ماستك تنادى عليكى ..  
وفهمت بهيئة منذ ذلك اليوم ما يجب في هذا البيت وما لا  
يجب .. وما عليها ان تعمله وما لا تعمله .. ما هو محلل  
وما هو مخزّم .. وكان يعمل معها في البيت نفسه طبّاخ  
اسمه عبده بيت في حجرته فوق السطح ، وفتاة أخرى  
كبيرة تبيت معها على دكة خشبية في احد اركان المطبخ ..  
وانست بهيئة الى خديجه ، حتى راحت تروي لها كيف قتل  
والدها .. وهما تتسلّيان بالحديث قبيل النوم .. ولكن  
خديجة نفرت من الحديث خشية ان يطلع لها عفريت القليل  
.. وفضّلت أن تنام .. وسرعان ما كان شخيرها يملأ  
المطبخ ..

وظلّت عينا بهيئة مفتوحتين لا يغلبهما النعاس .. وراحت  
تفكر في أمّها ، وفي أختها الرضيع زينب .. وهمست  
لنفسها « يا ترى يا أمه بتعملى ايه دى الوقت ؟ »  
وعادت اليها صورة أبيها قبل مقتله بدقائق ، وهو يمسك  
بيدها في السوق ، ويضرب بعصاه الأرض فى قوة وبأس ..  
ووقفت عند هذه الصورة لا تجرؤ على الاسترسال في  
ذكرياتها .. فلقد بدأت تشعر بالخوف لو أنها استعادت  
صورة مقتله ، وتكوّرت بجانب خديجة ، والتصقّت بها تريد  
أن تلتصق من دفئها بعض الطمأنينة والأمن .. وأغمضت  
عينيهما لتنام .. لكن صورة أمّها بثياها السوداء المتربة  
واقامتها النحيلة وبشرتها الصفراء تجلس على عتبة الدار ،  
وفي حجرها أختها زينب تمتصّ اللبن من الثديها الهزيل

الحصاد ترى الطشت مملوءا بالشعير ، وفي موسم « النرة »  
مملوءا « بالذرة » .

وتلقت حولها في دهشة ، ومسحت بطرف جلبابها عينيها  
المتهبتين وأنفها ، وأخذت تتأمل ذلك الشيء الأبيض اللامع  
الذى يشبه الحوض الواسع ، والذى لو ملئ بالماء لغرقت فيه  
.. وتلك الصنابير الفضّية الكبيرة التى تعلوه ..

ورأت حوضاً آخر صغيراً معلقاً في الحائط تعلوه أيضاً  
صنابير كبيرة براقّة .. ورأت شيئاً عجيباً أبيض يشبه الكرسيّ  
وليس بكرسيّ .. وشيئاً آخر يشبه سلطانية الشوربة ولكنه  
كبير الحجم جداً يتّسع لسلق جدي أو خروف ..  
وكفكت دمعها وأخذت تتحنّس بيديها السمرأوين الحشنتين  
أرض الحمام المساء الناعمة في مثل نعومة الصحن المصنوع  
من الخزف ..

- بت يا بهيّة .. يا بهيّة ..

جاءها صوت رفيع حادّ من خلال باب الحمام المغلق ..  
فانتفضت لسماع اسمها .. ووقفت مذهورة حائرة .. ماذا  
تفعل ..

أصبح الصوت الرفيع أكثر حدّة فارتجفت بهيّة وهى  
تمسك بأكرة الباب البراقّة تحاول أن تلوّحها لتفتح الباب ،  
ولكن الأكرة أبت أن تتحرّك فالتصقت فمها بالسباب وقالت  
بأعلى صوتها كما كانت تنادى على أمّها في الحقل :  
- ده أنا جوه فى الى اسمه ايه الحمام مش عارفه أطلع ..  
ووقفت بهيّة مشدودة حينما رأت أكرة الباب تتحرّك  
وحدها ثم ينفّث الباب .. ورأت أمامها امرأة بضّة نظيفة ..  
ثم رأت يد المرأة ترتفع الى أعلى ، ثم تهوى على وجهها النحيل  
في لكمة قوية ..

– انت قاعده جوه الحمام بتعملى ايه .. مين قالك تدخل

هنا ؟

– معهلش يا ستى .. والنبي يا ستى .. ربنا يخليكى  
ياستى .. مش أنا والنبي .. ده الراجل عبده الى عندكم  
قال لى اقعدى هنا لغاية ماستك تنادى عليكى ..  
وفهمت بهيئة منذ ذلك اليوم ما يجب في هذا البيت وما لا  
يجب .. وما عليها ان تعمله وما لا عمله .. ما هو محلل  
وما هو محرم .. وكان يعمل معها في البيت نفسه طبناخ  
اسمه عبده يبيت في حجرته فوق السطح ، وفتاة اخرى  
كبيرة تبيت معها على دكة خشبية في أحد أركان المطبخ ..  
وانست بهيئة الى خديجه ، حتى راحت تروي لها كيف قتل  
والدها .. وهما تتسلتان بالحديث قبيل النوم .. ولكن  
خديجة نفرت من الحديث خشية أن يطلع لها عفريت القليل  
.. وفضلت أن تنام .. وسرعان ما كان شخيرها يملأ  
المطبخ ..

وظلّت عينا بهيئة مفتوحتين لا يغلبهما النعاس .. وراحت  
تفكر في أمها ، وفي أختها الرضيع زينب .. وهمست  
لنفسها « يا ترى يا أمه بتعملى ايه دى الوقت ؟ »  
وعادت اليها صورة أبيها قبل مقتله بدقائق ، وهو يمسك  
بيدها في السوق ، ويضرب بعصاه الأرض فى قوة وبأس ..  
ووقفت عند هذه الصورة لا تجرؤ على الاسترسال في  
ذكرياتها .. فلقد بدأت تشعر بالخوف لو أنها استعادت  
صورة مقتله ، وتكوّرت بجانب خديجة ، والتصقت بها تريد  
أن تلتصق من دفئها بعض الطمانينة والأمن .. وأغمضت  
عينيهما لتنام .. لكن صورة أمها بثياها السوداء المتربة  
وقامتها البتيلة وبشرتها الصفراء تجلس على عتبة الدار ،  
وفي حجرها أختها زينب تمتص اللبن من ثديها الهزيل

الضامر .. ورات نفسها تجلس الى جوارها تنبش في التراب  
وهي تحسّ آلام الجوع اذ مضت أيام كثيرة لم تصب فيها الا  
بعض كسرات من الخبز المقدّد ، وقطعة خيار مخسلة عثرت  
عليها في قاع « الزلعة » ..

وانتبهت على رجل ، افندي يقف أمام أمها ، ومعه نفوسة  
تاجرة الفراخ .. ولم تفهم كل الكلام الذي كانوا يقولونه ،  
ولكنها التقطت كلمة « بهيّة » من بين كلامهم فأرغفت السمع  
لترى ماذا يمكن أن يكون لها من شأن في هذا الحديث الجادّ  
مع هذا الافندي النظيف ..

وسمعت الافندي يقول :

— هي ستها كام ؟

فأجابت أمها :

— عشر سنين والنبى ..

فقال الرجل :

— ياه .. دى لسه صغيره قوي ..

فأجابت نفوسة :

— صغيرة ايه يا سى محمد .. دى لهلوبة في الشغل تمسبح  
وتغسل ، وتحمل المحروسة الصغيره ، دى بكره تعجبك وتبقى  
عال قوى .. قومي يا بت يا بهيّة .. قومي بوسي ايد  
سيدك ..

وقامت بهيّة .. إنها لا تستطيع الا أن تطيع بعد أن رأت  
أمها تنكس رأسها دلالة على الموافقة ..

وأخذها الافندي معه .. وقبل أن تمضي معه استدارت الى  
أمها الجالسة على عتبة الدار ، وفي حجرها اختها زينب قائلة :

— أقعدني بالعافيه يا امه .. خلي بالك من زينب ..

وسمعت أمها تقول :

— الله يعافيك يا بهية .. خلي بالك من نفسك ..

ورأتها تمسح عينيها وأنفها بكما ، فاستدارت مسرعة ،  
وسارت في أثر الافندي ٠٠ وقلبها ينوء بثقل كبير ٠٠

\*\*\*

وفتحت بهيئة عينيها في الصباح الباكر على صوت رفيع  
حادّ يقول :

- بت يا بهية ٠٠ انت لسه ما صحيتيش ؟  
فانتفضت بهية في فزع ٠٠ وفتحت عينيها ٠٠ وحينما  
رأت المطبخ الواسع ، وموقد الغاز ، والثلاجة الكبيرة عرفت  
أنها في مصر ٠٠ في بيت سيدها محمد أفندي الشهدي ٠٠  
وليس في دارها بقرية كفر خناش ٠٠ وردت :  
- حاضر ياسستي ٠٠ أنا صاحيه ٠٠  
وانطلقت بهية الى سيدتها ٠٠ فوجدتها مضطجعة على  
سريرها الوثير ، تحتضن طفلتها ، وترضعها من ثدي بض ،  
صمين ٠٠

- انت يا بنت لسه نايمه ؟  
- لا يا ستي أنا صاحيه من الصبح ٠٠  
- خدي اللف دى اغسليلها في الحمام ، وانشريها في  
البلكونة ٠٠ وبعدين تعالى بسرعة علشان تحملي نوسه ٠٠  
- حاضر يا ستي ٠٠  
وفي لمح البصر طارت بهية لتفعل ما امرته به سيدتها ٠٠  
ثم حملت الطفلة الصغيرة على ذراعيها ، ووقفت تهددها .  
- بس ياسستي نوسه ٠٠ بس ٠٠ بس يا ستي نوسه  
يس ٠٠ بس .  
وكفت الطفلة عن البكاء ، واخذت بهية تتأمل وجهها ،  
وعينيها ، وشفتيها ٠٠ فرأت أنها تشبه أختها زينب شبا  
غريبا ٠٠ وخيل لها أنها هي فاحتضنتها بحنان وقوة الى  
صدرها ، وقبّلتها ٠٠

ولم تكذب وترفع وجهها عن الطفلة حتى انتفضت على الصوت  
الرفيع الحادّ يقول غاضباً :

- انت بتبوسيه يا بيه ؟ عمى في عينك .. اياك  
تاني مره تبوسيه ، والا تقربى وشك من وشها كده ..  
فاهمه ؟

وقبل أن تنطق بيه بحرف أحست بيد تهوى على وجهها  
فى صفعه قويه ..

- حاضر يا ستي .. معلش يا ستي .. والنبي ياستى  
حرمت ..

وابتعدت اليد عنها فهدأت دقات قلبها ، وانتظمت أنفاسها  
.. وحملت الطفلة بين ذراعيها ، وهى تحاول أن تبعد وجهها  
عنها بقدر ما تستطيع ..

وتأملت وجه الطفلة مرة أخرى .. فلم تر فيها أيّ شبه  
بينها ، وبين أختها زينب .. ورات في عيني الطفلة استعلاء  
وقسوة يشبهان الاستعلاء والقسوة في عيني أمها . وشعرت  
أنها تكره هذه الطفلة وتحقد عليها ..

أهكذا يكون جزاؤها ؟ إنها لم تفعل شيئاً ، لم تخطئ ،  
لم تكسر كوباً أو طبقاً .. لقد قبّلت الطفلة فحسب ، وقبّلتها  
لأنها تحبها وتحنو عليها .. أهكذا يكون جزاء الحبّ والحنان ؟  
وأشاحت بوجهها بعيداً عن الطفلة وأخذت تهددها بالية  
ليست فيها عاطفة .. وتذكرت أختها زينب .. ترى من  
يهددها ؟ .. كثيراً ما كانت تسمع بكاءها وهي نائمة على  
الأرض في صحن الدار ، وقد تعرّى ردفاها ، وغشى التراب  
أنفها وفمها ، فتجري إليها ، وتمسح وجهها ، وتهدهدها ،  
وتقبّلها ، وترعاها حتى تعود أمها من الحقل .

ترى من يجري إليها الآن .. ترى من يمسح لها التراب  
من فوق أنفها وفمها ؟

ونظرت بهيئة الى وجه الطفلة التي تحملها ، وجه ناعم  
نظيف بلا تراب ٠٠ وهي تهددها ، وتلاعبها كلما همّت  
بالبكاء ٠٠ اليست أختها زينب مثل هذه الطفلة ٠٠ ألا  
تستحق أختها هذا الحنان ؟

ويصفونها بعد كل ذلك لأن في قلبها حنانا !  
وأحسّت بهية ، طفلة العاشرة ، بثورة عارمة تضطرم في  
أعماقها ٠٠ ولم تشعر إلا وهي تضع الطفلة على السرير ،  
وقد غمرها شعور بأنها لا تريد أن تحملها بين ذراعيها ٠٠  
ووقفت بجوار الطفلة كالتمثال تنظر اليها في كراهية ٠٠  
وبكت الطفلة تريد أن تحمل ٠٠

وكانت أمها في الحمام ٠٠ فنادت على بهية بأعلى صوتها :  
- نوسة بتعيطّ ليه يا بنت يا بهية ؟  
ولم ترد بهيئة ، واقتربت من الطفلة ، وأخذت تربّت عليها  
لتكفّ عن البكاء ٠٠ لكن الطفلة التي كانت قد تعوّدت أن  
تحمل ظلت تبكي وتصرخ ٠٠  
وجاءها الصوت الرفيع الحاد الغاضب !  
- نوسة بتعيطّ ليه يا بنت ؟

واغتاظت بهيئة ٠٠ ممن ؟ لم تكن تدري ٠٠ أمّن الأمّ  
القاسية ، التي تنادىها غاضبة ٠٠ أم من الطفلة المدللة التي  
تريد أن تحمل ؟ ولم تعرف تماماً ماذا فعلت ٠٠ لكنها رفعت  
يدها في الهواء وهوت بها على وجه الطفلة في لطمة قوية ٠٠  
ثم جرت الى باب الشقة وفتحتّه ، وانطلقت في الشارع تعدو .  
ولم تهدأ بهيئة الا بعد أن ابتعدت عن بيت سيدها كثيرا ٠٠  
ورأت رجلاً تبدو على ملامحه الطيبة ، فسألته عن  
« الكافوري » الذي يمكن أن يوصلها الى قرية كفر خناش ٠٠  
وكان الرجل طيباً فدلّها على الطريق ٠٠ وأعطّاها بعض  
القروش ٠٠

وجلست بهيئة على أرض « الكافورى » فقد أبى الكمسارى  
أن يمنحها كرسياً لتجلس عليه ، لأن القروش التي كانت  
معها لم تكف لتصرف بها نصف تذكرة .. وتبرّع لها  
الكمسارى بحيز صغير من أرض العربة حتى تصل الى  
قريتها ..

ووقفت العربة فى « كفر خناش »  
وانتفضت بهيئة واقفة على قدميها .. وقفزت من العربة ،  
ووضعت ذيل جلبابها بين أسنانها وأطلقت ساقها للريح .  
ووجدت باب الدار مفتوحاً كعادته دائماً .. فاندفعت  
داخلة متلهفة .. وقبل أن تصل الى صحن الدار سمعت صوت  
اختها زينب تبكي بحرقة .. فجرت اليها .. وراىها كما  
كانت تراها دائماً عارية الردفين ، والتراب يغشى أنفها  
وشفتيها ..

- يا حبيبتي يا زينب !

وأخذتها بين ذراعيها ، وراحت تغمر وجهها بالقبلات ..  
وتهدت بهيئة فى سعادة .. إنها تستطيع أن تحب زينب كما  
تريد ، وتحنو عليها كما تريد .. وتقبلها كما تريد .. لن  
ينهرها أحد ولن تتلقى عن ذلك صفعات أو شتائم ..  
وضمت بهيئة اختها الى صدرها أكثر وأكثر .. وحينما  
راى أمها تدخل من باب الدار قالت لها :

- ما هانتش على زينب يا امه .. قلت آجى أشيلها ..  
وأجابته امها والدموع فى عينيها :  
- بركه يا بنتي إالى جيتي ..





## كرامة

كان عقلي مشلولاً لا يريد أن يفكر .. بل لا يستطيع أن يفكر حتى لو أراد .. وكانت نفسيّتي منهارة مهلهلة ، فتأتها هنا وهناك في ثنايا أعماقي الخالكة فلا اهتدي الى شيء منها .

ولم أكن أحسّ شيئاً إلاّ قدمّي المنهوكتين وهما تنتقلان بلا وعي في خطوات ممزّقة ضالّة .. وبعد أن همت في طرقات عديدة لا أكاد أتبينها وجدتنى فجأة أمام بابه .. باب مكتبه .. وقرأت اسمه على الرقعة النحاسيّة الصفراء .. فارتجفت .. وهممت أن استدير ، وأعود من حيث أتيت ، فلم أستطع .. وقفت أحملق كالمعتوهة في حروف اسمه :

« ضياء الدين توفيق ا » أه .. إنه اسمه .. إنه هو .. إنه مكتبه ! .. باب مكتبه نفسه الذي شهد خروجا ودخولنا كل يوم لمدة خمس سنوات كاملة .. وكثيراً ما كنا نقف أمام هذا الباب في الظلام ، وبأخذني بين ذراعيه ويقبلني ، وتترأى لي الرقعة النحاسيّة وعليها اسمه ، وكأنها تهتّر من فرط السعادة والنشوة ، وتتراقص حروف اسمه وتضيء بنور

جميل فاهمس له قائلة : ضياء .. أحبك ! .. خمس سنوات  
كاملة ، بأيامها ولياليها ، أحببته .. وعشت لحظات عمري  
معه سواء كنا معاً أو فصلت بيننا آلاف الأميال حينما كان  
يسافر ، وكثيراً ما كان يسافر في بعثاته الصحفية ..  
ثم .. آه .. لعلمي أنسى !

كان اليوم منذ سنتين .. صباح اليوم الذي كنت أستلقي  
فيه على فراشي ، وأثناء ، واستعيد في سعادة كلماته  
الرقيقة لي ، وأتخسّس موضع شفتيه الملتهبتين على وجهي ..  
وأخذت أقلب صفحات جريدة الصباح في تكاسل لذيذ ..

ولجأة خارت قسواي .. وتوقف قلبي عن ضرباته ..  
وأخذت أذناي تصفران بصيراً عالياً جعلني صمّاء .. واهتزّت  
الكلمات السوداء المطبوعة أمام عيني لكنني استطعت أن أقرأها  
مرة ومرتين وثلاثاً ، وأنا لا أحسن بنفسي .. وكأنني في  
حلم ..

وقرات للمرة العشرين خبر زواجه وأنا لا أصدّق ..  
وظننته رجلاً آخر يحمل اسمه .. وجريت كالمسوعة الى  
التليفون ، وقالت لي شقيقته في سخرية لا تخلو من مزيج  
من الشفقة والتشفي :

- أيوه .. ضياء .. إنه في بيته يا « شوقيه » .. لقد  
تزوّج .. ألم تعرفي ذلك ؟  
وكانت بي بقية حياة ، فاستطعت أن أردّ عليها قائلة :  
- أشكرك ..

ولكن .. ما بالي أقف بعد سنتين من البعد عنه كالمعتوهة  
إمام باب مكتبه .. لا أستطيع الدخول .. ولا أستطيع  
العودة ؟ .. آه .. ليت قلبي يتوقف الآن تماماً فأموت واقع  
جثة هامدة هنا حتى يتعرّج بجثتي وهو خارج فيراني ! ويرى  
ماذا فعل بي ..

ووقفت أمام اللوحة النحاسية التي تحمل اسمه أفكر ،  
ولا أفكر .. وقلت لنفسي في جراءة الضعيف الذي يريد أن  
يمنح نفسه بعض الشجاعة :

- فلادخل .. ماذا سيحدث ؟ هل ستنتطبق السماء على  
الأرض ؟ لن يحدث شيء . سوف يقابلني بتور غاية ما  
في الأمر ، أو سوف يقابلني بحرارة أكثر ما في الأمر ..  
ولن يكون هناك فارق كبير عندي بين هذا وذاك .. فلقد  
انتهى ضياء من حياتي ، وخرج من نطاق آمالي وأحلامي ..  
لكنني أريد أن أراه .. أريد أن أنظر في عينيه ، وليكن  
ما يكون . فهو الوحيد الذي أحبه .. وهو الوحيد الذي  
يفهمني .. وتذكرت كرامتي التي منعتني من لقائه طوال  
هاتين السنتين ..

ولكن اليوم ، بل هذه اللحظة ، لا أستطيع أن أراه .. ولا  
أرى دخلا للكرامة في ذلك .. فانا لا أريد أن أتزوج ، فهو  
رجل متزوج .. وإن لم يكن متزوجاً فلست أفكر في الزواج  
منه ..

أنا لا أريد منه سوى أن أراه .. وأحادثه .. ودفعت  
الباب برفق ، واخترقت الدهليز الطويل الذي يقود إلى حجراته  
.. ورأيت باب حجراته مغلقاً فانتابني اليأس .. لكن الأمل  
دفعني إلى أن أدفع بابه فانفتح ، وخلق قلبي بشدة كأنني  
مقدمة على عمل جليل ، وليست مجرد زيارة قصيرة لدقائق ..  
ورأيتته جالساً إلى مكتبه فاشتدت خفقات قلبي ، ورفع  
رأسه من فوق الأوراق المتراكمة على مكتبه .. ورأني .. وظل  
برهة قصيرة محدقاً في وأنا واقفة على عتبة الباب لا أستطيع  
أن ادخل ، ولا أن أخرج كأنما شلت قدماي .. ثم أفاق  
لنفسه ، وسمعته يقول وهو يقف ويقبل نحوي باسمي :  
- أهلاً شوقيه .. اتفضل ..

وتحرّكت نحوه في ببطء وأنا لا أدري تماماً بكيانى ..  
واقتربنا من منتصف الحجرة ، ولم يكن يفصلنى عنه الا خطوة  
واحدة .. ورايته يمدّ يده اليّ .. ورفعت يدي لأصافحه ..  
فأحسست بها ثقيلة كأنها نصف مشلولة واستقرّت يدي في  
يده برعة قصيرة أحسست فيها بكل عواطفى القديمة تتقد  
فجأة .. ولم أستطع .. وجددتني من حيث لا أدري بين  
ذراعيه وفي أحضانه ، راسي على صدره العريض ، وشفّته  
الداثنتان تلثمان كل جزء من وجهي وشعري .. ودموعي  
تبّلل وجهي ..

وأفقت لنفسي بعد لحظة .. آه .. ما هذا الذى فعلت ..  
وسحبّت نفسي منه شيئاً فشيئاً ، وابتعدت عنه ، وجلست  
على كرسيّ رأيته أمامي وجلس هو الى جوارى .. وقلت بعد  
فترة صمت في صوت ضعيف ممزّق :  
- ضياء .. أنا آسفة لأنني اتيت اليك اليوم ، لكنتي  
تلقيت صدمة ثانية من « رءوف » .. و ..  
وقاطعني قائلاً :

- رءوف ؟ .. من هو رءوف ؟

- رجل .. مثل كل الرجال ... عرفته صدفة بعد أيام  
من قراءتي لخبر زواجك ، وكنت يائسة مغضبة مصدومة ..  
وكان رقيقاً مهذباً لطيفاً .. ورجبت بصداقته .. ثم حبّه .  
الحق أني لم أحبّه يا ضياء ، لكنني كنت في حاجة الى أي أحد ،  
رجل أو امرأة .. ليسرّي عني .. ليحدّثني .. ليملا الفراغ  
الذى خلفه فراقك في حياتي ..

وكان رءوف رقيقاً حنوناً ، وكنت في حاجة الى الرقّة  
والحنان .. وأحبّتي ، أو هكذا قال .. ولم أنفذ الى أعماقه ،  
لأعرف هل هو صادق أم كاذب .. ماذا كان يهمني من  
أعماقه ؟ فليكن ما يكون ، كاذباً أو صادقاً، فانا لا أريد منه

الا أن يظهر لي الحبّ .. أن يعاملني برفق .. أن يحنو عليّ  
ساعة لقائي به وكفى .. لا أريد أكثر من ذلك شيئاً .  
لقد علمتني صدمتي فيك أن أقنع باليسير .. أن أكتفي  
بالظاهر ولا أنبش في الأعماق .. بل أهرب منها حتى لا  
تصدمني حقيقة أخرى .. وقلت لنفسي فلاحاول أن أعيش  
في سعادة كاذبة على أن أعيش في واقع صادق مؤلم ..  
ولكن لم أستطع يا ضياء .. لم أستطع أن أغيّّر نفسي  
طويلاً .. سرعان ما أفقت لنفسي ، أو أفاق هو لنفسه ..  
ولعله كان أيضاً هارباً مثلي من صدمة ، ويكتفي منّي بظاهري  
ولا يبحث عن أعماقي .. أو لعله كان يريد أن ينسى بي حُبّاً  
قديماً كما كنت أفعل .. ومثل هذه الأشياء لا تدوم طويلاً  
يا ضياء ..

وكان ضياء يجلس الى جوارى .. يستمع اليّ وفي عينيه  
الم بليخ .. وأحسست بسعادة خفية حينما لمحت الألم في  
عينيه .. لم أدر لماذا ؟ لكنني شعرت أنه كان يحسّ ، وأنا  
أنكلم ، أنه المستنول عما حدث وأنه سبب شقائي ..  
ضياء يتألم !! ومن أجلي ؟!

هذا هو ضياء كما عرفته ، وكما أحببته .. وهذه هي  
نظرة الألم في عينيه من أجلي لم تتغير ولم تتبدل .. كأنه لم  
يصدمني أبداً .. كأنه لم يهجرني أبداً .. كأنه لم يتزوج امرأة  
غيري !

ولم أعاتبه .. بل لم أفكر في أن أعاتبه ، رغم أنني كنت  
أنوي ذلك في أول لقاء لي بعد زواجه .. لكنني نسيت أنه خان  
عهدي ، أحسست من نظرة الألم في عينيه أنه إنسان صادق،  
أنه لا يستطيع أن يخدع أحداً ، لا شك أنه أجبر على الزواج  
إجباراً ، ولعل وراء ذلك سبباً لا أعرفه ..  
وعاد اليّ حبي القديم له دفعة واحدة .. ورآه في عيني ..

فهو يفهم نظراتي . وقلت له :

- ضياء .. إنك رجل فاضل .. أفضل رجل عرفته .  
إنك إنسان نبيل ، أنبل انسان عرفته ..  
كيف قلت له ذلك ؟ لم أدر ..

أفضل رجل ! أنبل رجل ! كيف ؟ .. هو الذي لفظني  
كالنواة ، وتزوّج امرأة غيري دون أن يطلعني على الخبر !  
لم أعرف كيف قلت له ذلك .. لكنني أحسست في عينيه  
الصدق ، والفضيلة ، والنبيل ، وأحسست في لمسات يديه  
العاطفة الحقيقية التي لا تعرف الزيف أو الكذب ..  
ومضى وقت الزيارة سريعاً .. ولم أشعر إلا وأنا أقف  
وأقول له :

- طيّب يا ضياء ، أشكرك على حسن استقبالك لي ، وأرجو  
لك حياة سعيدة ..  
ومددت له يدي لأنصرف ، وطلّ ممسكاً بها بعض الوقت ،  
ثم قبّلها أصبعاً أصبعاً ، كما تعود أن يفعل طوال سنّي حينما  
.. وقال لي :

- شوقية .. هل سارك مرة ثانية ؟  
- طبعاً ..

- متى ؟

- قريباً جداً ..

وهممت بأن أخطو نحو الباب ، لكنني تذكرت شيئاً فجأة  
فقلت له :

- على فكرة .. ما رأيك في الزواج بعد أن تزوّجت ؟

هل أنت راضٍ عنه ؟

ولم يردّ بسرعة .. ولم يبتسم كعادته .. اخذ يفكر برهة  
قبل أن يجيب ، وأحسست من تردده أنه يحاول أن يفسّر  
شيئاً مما كان يريد أن يقوله ، واشفقت عليه من أن يقول ما

يريد .. واشفقت على نفسي من سماع ما سيقوله .. فقلت له  
بسرعة :

- لا تفكر كثيراً يا ضياء ، فانا لا اريد ان اسمع الرد ايّ كان  
.. سأحاول ان أدرك مرة أخرى ..

وخرجت مسرعة .. خرجت أعدو كانا ورائي شبح يطاردني  
.. وواصلت عدوي حتى وصلت الى بيتي ، وجريت الى حجرتي  
الهدوء وأغلقتها على نفسي .. آه .. ماهذا الذي فعلت ؟  
وتقلبت في فراشي .. ثورة عارمة تجتاح نفسي .. ليست  
ثورة على ضياء ، وليست ثورة على رهوف ، وليست ثورة على  
أحد .. وانما ثورة على نفسي .. وسمعت كلمة تتردد في

أعماقي ..

كرامة !

كرامة ! .. تلك الكلمة التي ترنّ فجأة في أعماقي وتحاسبني  
بلا رحمة ولا شفقة .. ضياء ؟ .. مرة أخرى ضياء ؟ تدهيبين  
اليه ! الرجل الذي خان عهدك .. الرجل الذي أحبك خمس  
سنوات ، ثم تزوّج امرأة أخرى في يوم وليلة ؟ ثم تنهواوين  
بين ذراعيه ، وتدفقن الدموع بين يديه ، وتقولين له أحبك ،  
وتتركين له شفقتك مرة أخرى ؟ ..

ثم تعترفين له بما كان بينك وبين رهوف ؟

ما هذا الذي فعلت ؟

وأحسست بضغط شديد في رأسي ، كأنما يوشك ان  
ينفجر .. وتقلبت في الفراش أبحث عن شيء من الراحة  
ووضعت الوسادة على رأسي ، وضغطت عليها بكل قوتي لأوقف  
هذا السيل المتدفق من الأفكار .. لكن رأسي ظلّ مشحوناً  
مضغوطاً ..

وفجأة دقّ جرس التليفون .. فرفعت السماعة الى اذني في  
إعياء .. وجاءني صوته نفسه .. ضياء ! الصوت الذي كان  
يحدثني كلّ يوم خمس سنوات متتالية .. كيف أنساه ! ..

الصوت العميق الدافئ الحاني الذي كان متلهاً دائماً .. كيف  
 انساه ! .. وقال بنفس صوته القديم :  
 - شوقية .. أريد أن أقابلك الليلة .. لقد خرجت بسرعة  
 فلم أفل لك كل ما أريد .. هل أستطيع أن أراك الليلة ؟  
 وسكت قليلاً لأفكر .. وكنت في حاجة إلى شيء يريحني  
 من عذابتي .. ويخمد تلك الكلمة التي تتردد في أعماقي :  
 كرامة ! .. تلك الكلمة القوية الطاغية التي تسحقني سحقاً  
 .. كرامة !

وأردت أن أخفف رأسي من ثقله ، وقلبي من لوعته ، فقلت  
 له وأنا أستعين بكل ما في نفسي من شجاعة وقوة :  
 - اني آسفة يا ضياء ، لا أستطيع أن أراك مرة أخرى ..  
 ووضعت السماعة في مكانها ، وعدت إلى فراشي خفيفة ،  
 كأنما فقدت نصف وزني .. ووضعت رأسي على الوسادة ..  
 رأس هادئ مستقر .. وبحثت عن تلك الكلمة الجبارة التي  
 ترون في أعماقي فلم أجدها .. لا أدري أين اختبأت مني ..  
 وابتسمت لنفسي في زهو وانتصار وقلت :  
 - جبانة ! جبانة تلك الكلمة التي اسمها كرامة !



## الطريق

- لا أريد أن تحبني .. أرجوك .. أنا لست فاضلة كما  
تظن ..

قالت هذه الكلمات ، وهي تجلس معه على شاطئ النيل ،  
وتفصل بينهما مائدة صغيرة عليها زجاجة بيرة مثلجة وكوبان  
فارغان ، وطبق مشهيات « أورديفر » كبير .

ولم يرفع عينيه إليها .. مدّ يده الى زجاجة البيرة ، وملا  
الكوبين ، ثم ناولها واحداً ، وأخذ لنفسه الأخير .. وقال وهو  
ينظر في عينيه .. ويقرب كوبه من كوبها « في صحتك ..  
وسعادتك » .. وصمت قليلا ثم قال :

- سعادتنا ..

وقرّبت « ليلي » الكوب من شفّتيها وأخذت رشفة .. وسرت  
البيرة المثلجة في جوفها الساخن فأنعشتها ، وبددت شيئاً من  
ذلك الوجوم الذي كان يملأ نفسها .. والتفتت ناحية النيل  
وهامت نظراتها الشاردة علي صفحته السوداء الرقيقة ، وهي  
تمرّ بين صفّين طويلين متقطعين من النور الأخضر الفاتح : صفت  
فوقها ثابت واضح ، وصفت تحتها يهتزّ ويتعرج كلما هبت  
نسمة رقيقة .. وتمطت .. وتنفّست .. وابتسمت .. ثم  
قالت :

- إننى أحبّ الليل .

قال وهو ينظر فى عينيها :

- وأنا أحبّك أنت !

وضحكت .. ومالت برأسها الى الوراء .. وعاد يقول لها :

- أهكذا أصبح الحبّ عندك مهزلة ؟

وضحكت مرة ثانية ، حتى دعت عيناها ، وكساهما بريق

شديد جعلهما يشعان فى الليل كفصّين من الماس ..

وشاركها الضحك ، وهو يقاوم فى نفسه رغبة ، لو أطاعها

لقام من مكانه ، وذهب اليها ، حيث تجلس وأخذ رأسها

الصغير بين يديه ، وقبّل كلّ جزء فى وجهها .. حتى عينيها .

وبعد فترة صمت طويلة قالت له وهى تثبت فصّيها الماسيين

فى مكر :

- وماذا أصبح الحبّ عندك بعد حياتك العريضة المليئة

بالتجارب ؟

وشردت نظراته بعيداً فى الليل ، وهو يداعب شففته السفلى

بأسنانه ، وتعبت أصابعه الطويلة بشعر رأسه القصير .. ثم

قال بعد فترة وهو ينظر اليها نظرة عميقة جادة نفذت الى

أعماقها :

- أصبح كلّ شيء ..

- تعنى أننى كلّ شيء لك الآن ؟

- بكلّ تأكيد ..

- إذن فأنت تعرض علىّ الزواج ..

- بكلّ تأكيد .

- هل أنت جاد ؟

- كل الجّد ..

- انت رجل جريء جداً ..

- لماذا ؟ إنّ معظم الرجال يتزوّجون ..

- إِنَّ الرجل الغبيّ هو الذى يتزوَّج .. والرجل الذكيّ  
يتزوَّج فى لحظة غياب ..

وضحك .. وفرد جسمه الطويل فى استرخاء ، وأسند  
رأسه الى ظهر الكرسي . ثم قال بعد فترة صمت قصيرة ، وهو  
معلق بصره الى السماء :

- ماذا كنت تقصدين بأنك لست فاضلة ؟

- أننى لست فاضلة ..

- ماذا تعنين ؟

- إننى لا أومن بالحبّ .. إِنَّ الحبّ هو الفضيلة الوحيدة  
فى هذه الحياة، ولكن الرجل والمرأة لا يلتقيان أبداً عند هذه  
الفضيلة ..

- كيف ؟

- المرأة التى تؤمن بالحبّ تقابل رجلاً لا يؤمن بالحبّ ..

وحينما يؤمن الرجل بالحبّ يقابل امرأة لا تؤمن بالحبّ ..

- لماذا ؟

- لأن المرأة تبدأ الطريق وهى مؤمنة بالحبّ .. ثم تفقد  
هذه الفضيلة فى نهاية الطريق .. والرجل بالعكس ، يبدأ  
بلا فضيلة .. ثم يجدها فى نهاية الطريق .

- وكيف يكون اللقاء بينهما إذن ؟

وتوقفت أناملها عن دقّ المائدة .. وحولت عينيها عن  
السماء الى الماء ، وظلّت تنظر فى البحر الغارق فى الظلام فترة  
ثم قالت :

- حينما تقابل امرأة فى أول الطريق رجلاً فى نهاية الطريق  
يصبح الاثنان واحداً ويتزوَّجان .. وحينما تقابل امرأة فى  
نهاية الطريق رجلاً فى أول الطريق يبقى الاثنان اثنين ، وقد  
يتزوَّجان .. وقد لا يتزوَّجان .. وحينما تقابل امرأة فى أول  
الطريق رجلاً فى أول الطريق يصبح الاثنان ثلاثة ولا يتزوَّجان .

- وحينما تقابل امرأة فى نهاية الطريق رجلاً فى نهاية الطريق أيضاً ماذا يفعلان ؟  
وسكنت لتفكر ٠٠ وثبتت عينيها على كوب البيرة الثلجة ،  
وقد تكثفت عليه قطرات صغيرة من الماء ٠٠ وأمسكت الكوب ،  
وأخذت رشفة ٠٠ ثم نظرت إليه ، وابتسمت ، ثم قالت :  
- يشربان البيرة فقط ٠٠  
وطافت نظراته على صفحة النيل الهادئة وقال وهو يمسك  
ذقنه بيده :  
- وما طول هذا الطريق ؟  
- ليس له طول ثابت ٠٠ قد يكون سنة واحدة ، وقد يكون  
عشرين سنة ٠٠ وقد يكون العمر كله !!  
ونظر اليها فى مكر وقال :  
- وكم كان طول طريقك ؟  
- ست سنوات ٠٠ وأنت ؟  
- لا أعرف ٠٠ إننى لست فاضلاً بعد !  
وضحك فى مرح ٠٠ وشاركها الضحك ، ورفع كل منهما  
كوبه الى فمه ٠٠  
ثم قالت وما زالت الابتسامة تضيء وجهها :  
- إذن فقد سبقتك ٠٠  
- إننى أحب المرأة التى تسبقنى ٠٠  
- حتى ولو كانت غير فاضلة ٠٠  
- إننى أحب المرأة التى تقول عن نفسها ، إنها ليست  
فاضلة ٠٠  
- ولكنى لا أقول فحسب ٠٠ إننى فعلاً كذلك .  
- هذه الصراحة تعجبنى ٠٠  
- ولكنى ليست صراحة ٠٠ إنها الحقيقة المرة !  
- ولماذا مرة ؟ ٠٠ إننى أحسن فى هذه اللحظة أنك أفضل  
نساء العالم !  
- ٢٤ -

— أوه ! .. عجيب هذا المخلوق الذى اسمه رجل ! .. حينما  
تقول له المرأة إنها فاضلة لا يصدّقها أيضا ..  
— لأنّ المرأة تقول دائما عكس ما بها ..  
— لكننى لا أشارك النساء هذه الصفة .. أقسم لك إننى  
لست فاضلة .. أرجوك صدّقنى !  
— لا أستطيع أن أصدّقك ..  
— لماذا ؟  
— إنّ امرأة مثلك لا يمكن إلّا أن تكون فاضلة !  
— بل لأن الحقيقة اذا صدرت من صاحبها لا يصدّقها الناس.  
ووضع سيجارتين بين شفّتيه .. واشعلهما وناولهما  
أحدهما .. وأخذ كلّ منهما ينفث دخانه فى الهواء صامتا ..  
شاردا .. ثم مرّق السكون صوته العميق الهادى :

— ماذا قلت ؟  
— عن أىّ شيء ؟  
— عن الزواج ..  
— أىّ زواج ؟  
— زواجنا ..  
— ولماذا تريد أن تتزوّجنى .. ؟  
— لأننى أحبّك ..  
— وهل الحبّ عندك يعنى الزواج ؟  
واعتمد على كرسيّه وارتسمت على وجهه أمارات الجذ الصارم  
وقال :  
— لا .. لا .. لا .. لا .. الحبّ شيء ضخّم جداً .. والزواج شيء  
تافه جداً .. ولكن لا غنى للشيء الضخّم عن الشيء التافه ..  
الحبّ بلا زواج يعيش .. يعيش بقوة .. ويموت بقوة ..  
شهادة وفاة واحدة تقضي عليه .. ولكن الحبّ مع الزواج لا يموت  
.. شهادة ميلاد واحدة تضمن له الحياة أبدا ..

- تقصد الولد ..
- إنه سر الحياة ..
- لم يعد سرّاً مادمت قد بحثت به ..
- وضحكاً .. وقال وهو ينظر الى أسنانها :
- إتنى أحبّ ضحكك .. كأنما أرى فيها الدنيا بشمسها
- وقمرها ، وهوائها ، ومائها ، ونهارها ، وليلها ، ودفتها وبردها
- .. إنك تعبرين عن الحياة تعبيراً صادقاً بهذه الضحكة الطبيعية
- السهلة .. إتنى أحبّ الحياة حينما تضحكين .
- بدأت أظنّ أنك ستتنظم شعراً فى يوم ما ..
- ربّما ..
- إذن فانت تغريني على عدم قبول الزواج ..
- لماذا ؟
- لأن الشاعر يقع فى حبّ كل النساء ما عدا زوجته ..
- الشاعر فقط ؟ ..
- وضحكك .. ومالت برأسها الى الوراء .. وأخذ يدها من
- فوق المائدة وقربها من شفّتيه ، وقبلها ثم قال :
- هل وافقت ؟
- هل وافقت أنت ؟
- على أيّ شيء ؟
- على نقائصي !
- كل منّا له نقائصه ..
- ولكنى لا أوّمن بالحبّ ..
- ونظرت اليه وسحبت يدها من يده ثم قالت :
- ولكنى قد أملت الحياة معك .. فانا بطبعي سريعة الملل .
- لن تمليّ معي الحياة أبداً ..
- إنك مغرور جداً ..
- لست مغروراً .. ولكنّها الحقيقة التى لا يصدقها الناس

إذا صدرت من صاحبها ٠٠  
وضحكت ٠٠ ثم قالت وهي تثبت فصيصها الماسيين في  
عينيه :  
- بل إنها الكذبة التي اصدقها ٠٠ أو التي اريد ان  
اصدقها ٠٠  
وضحكا ٠٠ واخذ يديها الصغيرتين في يديه ٠٠ وقبلهما ،  
وقال لها في صوته العميق الدافئ :  
- يازوجتي العزيزة ٠٠  
ونظرت اليه في دهشة وقالت :  
- بهذه السرعة ؟  
قال وهو ينهض واقفا :  
- أيّ سرعة ؟ ٠٠  
لقد ضيعنا وقتا طويلا في الطريق !!







## الكوافير سوسو

كانت أصابعه الحسنة بعظامها العريضة البارزة وجلدها  
الاسمر الجاف تبدو نشازا بين خصلات الشعر الذهبي الناعم ،  
تجمع بعضها وتفترق بعضها ، تلف بعضها وتفك بعضها ..  
تنتقل في سهولة ويسر بحركات فنية خفيفة رغم شكلها  
الغليظ الثقيل الذي يوحي للرائي أنها لم تخلق لتمسك مشطا  
أو دبوساً وإنما لتقبض على فأس أو ساطور ..  
والشعر الذهبي بينها طيع مستكين ، يهدل تارة وينتصب  
تارة ، يتفرق ويتجمع .. وينثنى وينفرد .. حتى يتخذ في  
النهاية شكلا آخرى وكأنه أصبح شعرا غير الشعر ، فيه توجات  
جديدة بعضها يذهب الى اليسار وبعضها ينحرف الى اليمين ،  
فيه خصلة بيضاء ، وخصلة رمادية ، وخصلة كستنائية ..  
وتتقلص الأصابع الغليظة متكورة محترسة تسويه من  
بعيد ، وتحسّس الشعرات الرفيعة النافرة تضمها الى أخواتها  
وتعيد بلمساتها الخفيفة نظرة واثنتين وثلاثا على الشكل الأخير

•• مرة من بعيد •• ومرة من قريب ، من اليمين ومن الشمال  
ومن الخلف ومن الأمام •• حتى تطمئن اطمئنانا كاملا فترخي  
عضلاتها وتبعد مستريحة راضية هائلة ••  
كانت هذه الأصابع الغليظة هي كل شيء في حياة سعيد  
أو سوسو كما كتب على لافتة محله ، وكما تناديه الأصوات  
الرفيعة الناعمة ، يفكر بأصابعه ، وينظر بأصابعه ، ويشتم  
بأصابعه ، ويعيش بأصابعه ••  
لكنه اليوم بدأ يحس أن له رأساً فوق عنقه تثقله افكار  
كثيرة ••

سوسو !! ••  
أخذ الاسم يدق في رأسه كمطرقة حادة بينما راحت أصابعه  
السميكة تسبح في رشاقة بين خصلات الشعر الناعم ••  
سوسو !! ••

وقلب شفتيه امتعاضا وهو يراجع اسمه بينه وبين نفسه  
•• ما الذي جعله يستي نفسه سوسو !  
ونظر الى المرأة فرأى صدره يغطيه شعر أسود •• كيف  
•• وتأمل قامته الطويلة العريضة ، وهبطت نظراته الى يديه  
فرأى أصابعه الغليظة وهي تثقل بغير وعي بين خصلات الشعر  
•• غريبة •• كيف سعى نفسه سوسو ؟ أو سمح لنفسه  
أن يستي هذه الجثة الضخمة المغطاة بالشعر سوسو ؟ •• لماذا  
لم يستم نفسه طبرزان أو ضرغام •• أو أي اسم من تلك  
الاسماء المذكورة الحشنة التي تليق برجولته ، وتجبر الناس على  
احترامها ••

نظر الى المرأة ثانية يتفقد نفسه ليكتشف أي شيء فيها  
يشبه سوسو ••  
ولم يجد شيئاً إلا ذلك القميص المشجر الذي يبدو شاذاً  
على صدره العريض المشعر ••

واحسنّ بالدماء تغلي في رأسه، وودّ لو خلع هذا القميص أو  
حزّقه ، وشطب اسم سوسو من اللافتة ٠٠

- أوه ! ٠٠ حاسب شويه ياسوسو ٠٠ المكوه لسعتنى !  
صاحت صاحبة الشعر الأسود الداكن بعد أن مسّت المكوة  
في يد سوسو الثائرة طرف أذنّها ٠٠  
لسعة خفيفة ، أصابت جسمها بشيء من الانتشاء ، فعادت  
تتناوّه من جديد وهى تنظر الى سوسو نظرة نداء مكتوم صارخ  
وقالت فى ميوعة انثويّة :

- أوه ! مش تحاسب عليّ يا سوسو ؟  
ولم يردّ عليها سوسو ، لم يجد فى نفسه رغبة للردّ على  
هذا النداء المكتوم كما كان يفعل دائماً ويقول لها فى ميوعة  
مذكّرة :

- بعد الشّرّ عنك ٠٠ انشأ الله يا مدام أنا الى اتلسع ٠٠  
ويتعمّد أن يلسعها مرة أخرى لسعة خفيفة لتنتفض على  
كرسيّها وتنتشي أكثر وأكثر وتتناوّه أكثر وأكثر ٠٠  
كان يعلم أن أنوثتها الصالحة فى المجتمع المحروم فى حاجة  
الى شيء من هذه الأشياء الصغيرة ٠٠ لسعة خفيفة بالمكوة ٠٠  
قرصة فى اللراع ٠٠ نظرة اشتها خفيفة ٠ شدة شعور  
مقصودة ٠٠

هذه الأشياء الصغيرة المباحة فى المجتمع التى تنفّس بها  
النساء عن ضغط غرائزهنّ ٠٠ أشياء صغيرة لا يطلق عنها  
المجتمع الإشاعات ويرضاها الأزواج كلّ الرضا مادامت الزوجة  
مستصقّ شعرها كما تفعل كلّ النساء ٠٠ إنّ المجتمع لا يرضى  
عن الشذوذ أيّ كان ٠٠ حتى ولو كان شذوذاً فاضلاً ٠ ويرضى  
عن المعتاد حتى ولو كان خاطئاً ٠٠

ثم إنّ هذه الأشياء الصغيرة تحدث داخل صالون الكوافير  
سوسو ٠٠ وسوسو هذا لا يثير غيرة الأزواج ٠٠ يكفي أن

اسمه سوسو ٠٠ وأنه يلبس قميصاً مشجراً ٠ إنهم لا يعتبرونه رجلاً ٠

إن المجتمع ينظر الى الكوافير سوسو على أنه امرأة لها شنب !

ووضع سوسو المكوة على النار وراح ينظر اليها وهي تلتهب وتحترق ٠٠ وتذكر حادثة اليوم التي قلبت يومه الى جحيم أشد نارا من هذه النار التي يراها بعينه ٠٠ لقد قضى ست سنوات أو أكثر وهو يصفق شعور النساء دون أن يشعر بأي خزي أو عار ٠٠ وظل اسمه سوسو معلقاً على لافتة محله سنوات وسنوات ، والنساء ينادينه سوسو ٠٠ ولا شيء في ذلك يمس رجولته ٠٠ وماذا كان يعنيه من تلك الكلمة الجوفاء الفارغة « رجولته » ما دام يكسب في اليوم عشرين جنيهًا تقريباً ٠٠ وله رصيد ضخم في البنك يزيد عن رصيد أي بيه محترم ٠٠ ثم إنه في النهاية يعود الى زوجته ليثبت لها كل ليلة أنه رجل ٠٠

لكن حادثة اليوم هي التي أصابت رجولته في الصميم ٠٠ كان ذاهباً في الصباح الى محله ليفتحه ويبدأ عمله اليومي حينما قابله في الطريق رجل يعرفه وهو صاحب البقالة الجديدة الكائنة بجوار محله ، ووقف الرجل يتأمل القميص المشجّر ثم قال في ميوعة وهو يربت على كتفه كأنه يربت على كتف امرأة : ازيك يا سوسو ! يا حنتوسو !

ولم يعرف لماذا غلا الدم في عروقه في تلك اللحظة ٠٠ لقد ظلت النساء ست سنوات كاملة ينادينه سوسو ويرتدن على كتفه لكنه لم يشعر في أي لحظة أنهم يعاملنه كامرأة ٠٠ وبالعكس كن يشعرونه برجولته دائماً ٠٠ ولكن هذا الرجل الصفيق ٠٠ ينادبه سوسو ٠٠ ويعامله كامرأة ٠

وانتبه سوسو من حمية الصراع في رأسه على ذراع ناعمة

جِئْتُ تلتف حول عنقه وصوت ناعم يهمس في أذنه :  
- صباح الخير يا سوسو .. ادينى ميعاد عشان تعمللى  
شعرى .. أجيلك امتى ؟

ونظر اليها سوسو فى استغراب .. إنها تلصق جسمها  
بجسمه بشكل يلتفت النظر .. ولكن كل النساء داخل المحل  
لا يلتفتن .. إن ذلك شيء عادى جداً عند الكوافير سوسو فى  
نظر المجتمع .. وشيء غير عادى جداً فى حجرة تضم رجلاً  
وامرأة متحابين ..

وقال سوسو فى تأدب : بعد ساعة يامدام ..  
ونظرت اليه شزرا وقرصته فى أذنه وقالت وهى تتأود :  
- هى .. مالك النهارده كده واخدها جد قوى .. هى ..  
.. هى ..

وانطلقت جناجر النساء تقول جماعة : .. هى .. هى ..  
مش عارفه سوسو ماله النهارده ؟ مبور كده ليه ؟ شايل طاجن  
سته .. الواد جد خالص .. آل يعنى .. ما تتعدّل يا واد يا  
سوسو والا أجيلك وانت عارف أنا باعمل لك ايه ..  
- ايه ؟ بتعمليلو ايه يا روجيه ؟

- هى .. هى .. هى .. هو عارف ده سرّ بينى وبينه ..  
- هى .. لازم بتقرصيه .. أصله واد مضروب يموت فى  
القرص !

قرص ؟!

نفذت الكلمة من أذنه الى رأسه كطلقة المسدس .. إن  
النساء تعودن أن يقرصنه من ذراعه .. من رقبته .. من أذنه  
.. كيف سمح لهنّ بذلك ؟ كيف ترك جسمه نهياً لأصابعهنّ  
النهمة الجائعة ؟

وأحسّ سوسو بمرارة فى حلقه تشبه المرارة التى تحسّ  
بها المرأة التى تترك جسدها نهياً لجوع الرجال يعبثون به

كيف شاموا وأتى شاموا ..  
الى هنا لم يحتمل سوسو مزيداً من الأفكار والهواجس ..  
الى هنا بلغت أعماقه قمة التوتر ، فانفجر في النساء كالضرغام:  
- بس ! مش عاوز كلام ولا هاهاه .. انتم ايه ؟ جاينين  
تعملوا شعركم والا جاينين ..  
ولم يكمل .. كان على وشك ان ينطق بكلمة نابية فامسك  
نفسه بصعوبة والعرق الغزير يتصبّب من رأسه ورقبته ..  
ونظرت اليه النساء فاغرات أفواههن .. مشدوهات .. وساد  
بينهن الصمت لحظة .. ثم أفقن مفزوعات على شكله الغريب  
الناثر ..

- هو جرى له ايه ؟  
- يا نهار اسود باين عليه اتجتن ..  
- اتجتن ؟  
- اتجتن ؟

واندفعت النساء ملعورات خارج المحلّ بشعورهن المنكوشة  
وكانّ مارداً يطاردهن ..  
وجلس سوسو في المحلّ الحالي ورأسه بين يديه .. ومن  
حين الى حين يرفع رأسه وينظر الى شعر صدره العريض في  
المرأة ثم الى أصابع يديه الغليظة الخشنة ويهتف لنفسه بصوت  
مكتوم : أنا رجل .. أنا ضرغام .. أنا سبع !  
وبعد أيام قليلة كانت اللافتة المكتوب عليها «كوافير سوسو»  
قد اختفت ، وظهر مكانها لافتة أخرى خشنة كتب عليها :  
« جزارة سفيد الضبع » ..



## لن نحمد يا ليلى

### الشخصيات :

أسامة محمود ، مهندس ناجح ، فى  
الخامسة والثلاثين من عمره .. ليلى زوجته  
.. مدرسة لغة عربية ، فى الثلاثين من  
عمرها ..

### المنظر :

صالة أنيقة فى منزل المهندس أسامة محمود ،  
يجلس أسامة على أحد الكراسي الكبيرة .. يبدو  
عليه الشرود والتفكير العميق ، يمسك رأسه بين  
يديه .. تدخل زوجته ليلى ومعها حقيبة وقد ارتدت  
ملابس الخروج .. وحينما يسمع وقع قدميها ،  
يرفع رأسه ويقول لها بصوت حزين :  
أسامة - هل أنت جادة فيما قلت ؟

ليلي - ألم نتفق على كل شيء .. وكتبت لك تنازلاً عن كل شيء ..

أسامة - ولكن بقي شيء لم نتفق عليه بعد ..

ليلي - ما هو ؟

أسامة - الجنين ..

ليلي - « ساخرة » الجنين ! .. إنه داخلي أنا بكل أسف .. وأنا حرة فيه ، أبقيه أو لا أبقيه ..

أسامة - « غاضبا » أنا أبوه ومن حقّي أن امنعك ..

ليلي - « تنظر اليه ولا ترد » ..

أسامة - « مستعظما » ليلي .. اسمعيني .. لا تكوني حمقاء .. إنك لا تحبينني ولا تريدني الحياة معي .. هذا من شأنك .. ولكن هذا الطفل ابني أنا ..

ليلي - ولكن ألا ترى أنّه من الأفضل لثلاثتنا .. أنا وانت والطفل ، ألا يولد الطفل أبداً ؟ .. كيف تكون حياته حينما يكبر ويعلم أنّ أمّه وإباه لا يعيشان معاً ؟ ..

أسامة - ولماذا أمّه وأبوه لا يعيشان معاً ؟

ليلي - لأنّ أباه لا يفهم أمّه ..

أسامة - ولكنّه يحبّها ..

ليلي - أنّه يحبّ نفسه ..

أسامة - الآنني أريد أن أوفر لك الراحة .. ماذا تأخذين من هذا الجري والتعب كل يوم .. عشرين جنينها كلّ شهر ؟ سأعطيك هذه العشرين جنينها في يدك كل شهر ، ولا داعي أبداً لأن تكون زوجتي موظفة حكوميّة تلهث وراء الاتوبيس كلّ صباح ..

ليلي - إنك لا تفهميني .. أنا لا أعمل من أجل العشرين جنينها .. إنني أحبّ عملي ..

أسامة - عملك ؟ إنّ عملك الأساسي في الحياة هو بيتك ..



هو زوجك .. هو أنا ..

ليلي - انت ؟

أسامة - نعم أنا .. ألا أكفيك؟!

ليلي - ولكنك لا تحقق ذاتي .. إنك تحقق ذاتك أنت ..

وما أنا إلا وعاء يحمل أطفالك الذين تسميهم باسمك ، ويصنع  
أكلك الذي تهضمه وتحوله الى فضلات .. إنني أعيش من أجل

وجودك .. إن وجودي أنا لا وجود له ..

أسامة - كيف ذلك ؟ أنت زوجتي .. حرم المهندس أسامة

محمود ..

ليلي - حرم المهندس أسامة محمود ! حتى اسمي تلغيه

وتضع اسمك على غلافني .. يا لك من أناني .. «ثائرة» لا

.. لا أريد هذا .. لا أريد هذه الحياة .. لست في حاجة اليها ..

استطيع أن أعيش وحدي ، وأنفق على نفسي ، صحيح أنه لن

يكون بيتاً كبيراً كهذا ، ولكنه سيكون بيتي أنا .. أضع

عليه اسمي : « ليلي صادق » .. سيكون بيتاً صغيراً بسيطاً ،

ولكنني سأحبه .. لأنه سيكون ملكي ، وسأعيش فيه كما أريد

.. سأكون حرة .. لست تابعة لأحد ، سأحقق ذاتي وأشعر

بفرديتي .. ويمكنني أن أستاذج « خادمة » صغيرة تغسل

ملابسي وتصنع طعامي .. وتقوم مقام الزوجة - كما يراها

الرجال - وتتولى هذه الأعمال الثقيلة الجامدة ، التي لا يمكن

لأي إنسان ذكي أن يجعلها حياته ..

أسامة - لقد أفسدك التعليم والعمل لو لم تتعلمي وتوظفي

لما كان في إمكانك أن تتركي هذا البيت ، ولعشت معي راضية

قائمة .. لا يمكن أن تسير الحياة وقد أصبحت النساء رجالات ..

ليلي - « ساخرة » النساء رجالات ؟ ومن قال إن المرأة

تصبح رجلاً إذا تعلمت ، وعملت وأصبحت إنساناً له كيانه

واسمه ؟ هل خلقت المرأة لتطبخ وتغسل ؟

اسامة - خلقت لتكون أمًا .. الرجل لا يمكنه أن يلد أو يرضع الاطفال .. إن الطبيعة خلقت للمرأة رحماً ليحمل داخله الجنين .. وخلقت لها ثديين ليرضع منهما .. لماذا لا تحاكمن الطبيعة لانها خلقتك امرأة ولم تخلقك رجلاً ؟

ليلي - إنني لا أريد أن أكون رجلاً .. لقد خلقت امرأة ولا أشعر بأي نقص في طبيعتي .. إن الرجل هو الذي أدخل في نفس المرأة أنها أقل منه ، وأضعف منه ، وقال لها إن في داخلك رحماً .. والطبيعة أرادت هذا النقص فيك .. ولكن الطبيعة بريئة .. هذا الاختلاف لا يعني أن المرأة أضعف من الرجل ، وأقل منه .. وأن له الحق في أن يفرض عليها سيطرته وحمايته .. الطبيعة تنطق بأن المرأة إنسان كالرجل لها رأس مثل رأسه ، ومخ مثل مخه ، ويدان مثل يديه ، ورجلان مثل رجله وكتفان مثل كتفيه ، وقلب مثل قلبه وكبد مثل كبده .. وإن الحمل والولادة وظيفه واحدة من وظائف كثيرة يقوم بها جسم المرأة : لماذا تنتهم المرأة بالضعف حينما يخرج رحمها محتواه ولا تنتهم الرجل بالضعف حينما تخرج أمعائهم محتوياتها مثلاً .. إنه الفلاحة تلد طفلها في العراء .. وتضعه على رأسها في القفة ، وتواصل عملها في الحقل ، تماماً كما ينتحي زوجها وراء شجرة ليقي حاجته ثم يعود الى مواصلة عمله .. لماذا إذن يستعبد الرجل المرأة ويلقي ذاتها لتصبح تابعة له طول العمر ؟ ..

اسامة - إن منطقك عجيب .. لم أسمع في حياتي امرأة تتكلم كما تتكلمين .. إن المرأة ضعيفة ، حتى ولو لم تحمل وتلد .. إنها امرأة .. جسمها ضعيف .. وعواطفها متقلبة تطفئ على تفكيرها ، إغراؤها سهل .. إنها في حاجة الى رجل يقودها .. الى رجل تتبعه .. ومن تتبع المرأة اذا لم تتبع رجلاً ؟

ليلي - وهل لا بد للمرأة أن تكون تابعة لأحد .. ألا يمكن أن تكون مستقلة .. إن منطقك يشبه منطق الإنجليز حينما احتلوا مصر .. قالوا إنها ضعيفة وتحتاج الى حماية . ولكن حمايتها ضد من ، وهم الذين يعتدون عليها ؟ حمايتها ضد أنفسهم .. إن المرأة ليست ضعيفة كما تقول .. عواطفها لا تغلب تفكيرها ، وإغرائها ليس سهلا .. إن المرأة تعرف كيف تحكم عواطفها .. وغرائزها طوال حياتها .. بعض النساء يعشن في عذرية دائمة ولا يتكلمن .. وبعض النساء يطوين قلوبهن على مشاعر لا تجد طريقا الى النور ، والمرأة تقاوم الرجل دائما .. والرجل يلهث وراء المرأة دائما .. وتقول إن المرأة ضعيفة لأن اغراءها سهل .. ما بالك إذن بالرجل الذي في غير حاجة الى إغراء على الاطلاق .. إن الرجل هو الذي في حاجة الى حماية !

أسامة - ولكن القوانين كذا تفرض حماية الرجل للمرأة .. فهو الذي يختارها .. وهو الذي يتزوجها .. وهو الذي يطلقها .. وهو الوصي عليها لا يمكن أن تخالفه .. هذه هي القوانين التي وضعتها الطبيعة ، وتسير عليها كل النساء .  
ليلي - الطبيعة لم تضع قوانين .. الرجل هو الذي شرعها كما يهوى .. هو الذي شرع سيادته ..

أسامة - ولكن المرأة تحب من الرجل أن يكون سيدها .. إنها تعشق وضعها عند قدميه ..  
ليلي - المرأة لا تعشق ذلك .. لقد ربّوها على أن الرجل هو السيد .. ولقنوها وهي طفلة أنها أقل من أخيها الولد .. وأن أمها أقل من أبيها .. وقتلوا شخصيتها ، وفرديتها ، وأعدوها لمتع الرجال .. ماذا تنتظر من امرأة تربي هذه التربية غير أن تتزين وتتعطر وتذلك ساقها وتزحف الى قدمي الرجل ؟

اسامة - إن المرأة الطبيعيّة هي التي تفعل ذلك .. ماقيمة.  
 المرأة في الحياة اذا لم تجلب الرجل إليها ؟ وما قيمتها إذا لم  
 تتزيّن وتتعطّر .. أم أنّك تريد أن يتزيّن الرجل للمرأة ؟  
 ليلى - وهل من الضروريّ أن يتزيّن أحدهما؟ .. لماذا لا يكون  
 كلّ منهما على طبيعته .. لا أدري لماذا تضع المرأة على وجهها  
 تلك المساحيق البيضاء ، والحمر ، والخضراء .. إنها تفسد  
 ملامح الوجه ، وتخفي لون البشرة الطبيعيّ الذي يعكس النفس  
 والروح ، إنني أرى وجوه النساء في الشارع فيخيّل إليّ أنّه  
 وجه واحد مكرّر .. كلهنّ متشابهات .. كأنهنّ يلبسن وجوها  
 صناعية في حفلة تنكرية .. إنني لا أنتمي الى هؤلاء النساء  
 .. أنا لست منهنّ !

اسامة - بالطبع لست منهن .. فأنت لست امرأة . ولكن  
 اذا لم تكوني امرأة فماذا تكونين .. رجلاً ؟  
 ليلى - لست رجلاً .. ولست امرأة ، كتلك التي تسمّيها  
 أنت امرأة .. إنني لا أعترف بتسميتك .. لأنني امرأة في  
 أعماقي ، ولكنني من نوع لا تعرفه .. ولا تستطيع أن تعرفه  
 .. إنه يبدو لك غريباً شاذّاً كأنه جنس ثالث .

اسامة - امرأة .. إنني لم أر في حياتي امرأة ولا رجلاً  
 مسترجلاً مثلك .. وبالطبع الرجل هو الذي يحكم على أنوثة  
 المرأة ..

ليلى - « ساخرة » أعتقد أنّ أمامك خمسين سنة من القراءة  
 والفهم حتى تتحمّكن من أن تحكم على أنوثتي وتفهمها ..  
 اسامة - ها .. ها .. من قال إنّ الأنوثة في الكتب .. إنّها  
 إحساس فطريّ يشعر به الرجل نحو المرأة .

ليلى - كلّ إحساس فطريّ يحتاج الى التهذيب ، والدراسة  
 والتطوّر .. إنّ الرجل الذي يعيش في الغابة يفهم أنوثة المرأة  
 فهما يختلف عن الرجل الذي يعيش في نيويورك .. إنّ

الأُنوثة منذ خمسين عاماً كانت تختلف تماماً عن الأُنوثة هذه الأيام ٠٠ ثم دعني أسألك أولاً ٠٠ ماهي الأُنوثة ؟

أسامة - الأُنوثة ٠٠ هي الجمال ٠

ليلي - الجمال ؟ ٠٠ أيّ جمال ؟

أسامة - جمال المرأة ٠٠

ليلي - أيّ شيء في المرأة ؟

أسامة - جسمها ، ووجهها ٠٠

ليلي - جسمها ووجهها ؟ هل هذا هو الجمال ٠٠ إنّ جسم المرأة ووجهها ليسا إلاّ جلدها الخارجيّ ، تستطيع أن تغيّره كالخرباء ، مرة خضراء على العشب ، وأخرى صفراء على الرمال ٠٠ إنّ الجمال في رأيك يوجد في علب أنيقة في الصيدليات ، ومحلات الحردوات ويستورد لنا من ماكس فاكتر وكريستيان ديور ٠٠

أسامة - أين يوجد الجمال إذن ؟

ليلي - تحت الجلد ٠٠ في الدم ٠٠ الدم يجسري في كلّ كيان المرأة ويفذي قلبها ومخها ٠٠ الدم يرسم روح الجسم ويحدّد تعبيره وأحاسيسه ، ومفاهيمه ، وملامحه ٠٠

أسامة - وإذا كانت الملامح قبيحة ؟

ليلي - القبح ليس في الملامح ٠٠ القبح في الدم ٠٠ تصوّر امرأة عيناها واسعتان برّاقتان ولكن نظراتها تشعّ الكراهية أو الغيرة أو التكلّف أو البرود ٠٠ هل تقول إنّ عينيها جميلتان ؟ إنّ جمال العينين يكمن في جمال النظرة ٠٠ النظرة التي تعبّر عن المعنى الجميل ، كالحنان ، أو الحبّ ، أو الرقة ، أو التسامح ٠٠ النظرة الدافئة الطبعيّة التي تشعرك أنك أمام عينين نابضتين بالحياة يجري فيهما دم ينفع ، ويتأثر ، ويعكس صور الحياة كلها ، وليستا عينين متشنجتين تروحان وتجيئان كقطعتي زجاج ٠٠

أسامة - الواقع أنّني لم أدرس علم النفس ، ولا علم الأرواح

٠٠ إننى أحكم على الناس بمظهرهم ٠٠ ليس لىدى وقت لأن  
اغوص فى الأعماق ٠٠ إننى أضيع حياتى لو أننى فعلت ذلك ٠٠  
لىلى - بل إنك تضيع حياتك ، لأنك لاتفعل ذلك ٠٠  
أسامة - اسمعى يا لىلى ٠٠ لقد ضقت ذرعا بهذه المناقشة  
إننى أحبك لكنك تعملين على القضاء على هذا الحب ٠٠  
لىلى - حب ؟ ٠٠ إنك لم تحبني قط ٠٠ لقد أحببت امرأة  
غيرى تلبس جلدى ٠٠٠  
أسامة - أنا لا أفهم هذه الألغاز ٠٠ أنا رجل مهندس ٠٠  
لا أفهم إلا فى الهندسة ٠٠ ولكنى لا أمانع فى أن تكون هوايتك  
اعتناق هذه الألغاز ٠٠ على ألا تتعدى حدود النظريات ٠٠  
أتعرفين ؟ لا تتعدى الكلام ؟ والآن ٠٠ ماذا تنوين عمله ؟ ٠٠  
هل مازلت مصرة على الطلاق ؟  
لىلى - طلاق ؟ ٠٠ تلك الورقة التى يكتبها الماذون لنصبح  
غرباء ٠٠ ولكن ألم تشعر أننا كنا غرباء ونحن فى سرير  
واحد ؟  
أسامة - « يشير الى بطنها » ولكن هذا الجنين يشهد على أننا  
لم نكن غرباء ٠٠  
لىلى - الجنين لا يشهد على شيء إلا على الزواج ٠ إننى أحسن  
أنه ليس طفلى ٠  
أسامة - ليس طفلك ؟ ٠٠ ماذا تقولين ؟  
لىلى - لست إلا وعاء يحمله ويغذيه ٠٠ إنه قطعة غريبة  
عنى ٠٠  
أسامة - لقد فقدت عقلك بلا شك ٠٠ أنت فى حاجة الى  
طبيب ٠٠  
لىلى - « تمسك رأسها بين يديها وتنتحب » أسامة يقترب  
منها ببطء ويضع يده على كتفها ٠٠ لىلى تستمر فى التشيخ  
أسامة - لىلى ٠٠ لىلى ٠٠ ما الذى أصابك هذا الصباح ٠

لم كل هذه الثروة ؟ لأنني طلبت منك أن تتركي العمل ؟ ..  
كفى .. كفى .. لا تبكي . اذهبي الى العمل ولا داعي لكل  
هذه الثروة ..

ليلي - « ترفع رأسها وتنظر اليه في دهشة » ولكنني ..  
أسامة - « ساخرا » : لا تحبيني ا ولكنني أحبك ..

ليلي - كيف ؟

أسامة - إنني أحبك ولا أطلب منك أن تحبيني . وكفيني  
أنتك لا تحبين أحداً غيري ..

ليلي - ولكنني قد أحبّ أحداً غيرك ..

أسامة - لا أظن ..

ليلي - لماذا ؟

أسامة - لأنك لن تجديه .. لن تجديه يا ليلي ..  
( يقترب منها ، ويأخذ الحقيبة من جوارها ، ويتجه الى داخل  
البيت .. تبقى ليلي وحدها في الصالة .. تضع رأسها بين  
يديها وتبكي ) ..

« يسدل الستار »



## ليست عذراء

أقفل الحاجّ بدوي دكانه بالقفل ، ونفض يده من التراب ثم أدخلها في جيبه وأخرج قرن قرنفل وضعه تحت ضرسه الذي يؤلمه من ثلاثة أيام ، ولم يخرج ورقة النشوق كعادته ليشم ويعطس ، فقد كان مهموماً حزيناً ٠٠ نفسه مصدودة عن النشوق وعن كل شيء ٠٠

حتى أنه حينما مرّ في طريقه على قهوة بيومي التي يجلس عليها كلّ ليلة مع الحاج محمد ليشرب الجسوزة ويدردش ، ويراقب الستّ حميدة وهي تجلس وراء الشيش الموارب ٠٠ وعلى رأسها المنديل الحريري الأحمر الذي يلتهم حاجبها الأيمن ويترك حاجبها الأيسر متدلياً على عينيها العسلية المنكسرة ٠ لم يستطع الحاجّ بدوي أن يعرج على القهوة ولا حتى أن يلتفت إليها ، بل مرّ من بعيد وهو يكبس عمامته على رأسه لتخفي جبهته ، أنه لا يريد أن يراه أحد ٠٠ ولا أن يرى هو أحداً ٠٠ يكفيه ما سمعه من الناس ، الذين ليس لهم عمل منذ ثلاثة أيام إلا الحديث عن الحاجّ بدوي ٠٠ وشرف الحاج



بدوي ٠٠ وسيرته على كلّ لسان منذ ليلة الفضيحة ٠٠ ولولا  
تجارته وحاجته الى القروش التى يكسبها من بيع البهارات  
والقرنفل والجنزبيل ٠٠ لولا ذلك لبقى فى بيته لا يبرحه  
أبدأ ٠٠

ووصل الحاج بدوي الى بيته وهو يلهث ، إنه لم يتعود المشي  
السريع هكذا ، وأخرج المفتاح من جيبه وفتح الباب ، ودخل  
حجرة النوم ٠٠ وأخذ يخلع ملابسه فى ثناقل ثم وثب على  
السريّر ٠٠ وحينما وضع رأسه على الوسادة سمع شخير  
زوجته الخافت وهو يعلو على أنفاسها فالتفت اليها وهى غائبة  
كالنوم فى نوم عميق ، وأخذ يتأمل بشرتها ذات التجاعيد  
وشفتيها اليابستين ٠٠ ومصمص شفّتيه بازدياد ، وأعطاهما  
ظهروه وهو ينفخ ، وغطّى رأسه باللحاف لينام ٠٠ لكنّ صورة  
سعدية بملابس العرس ظهرت أمامه وهى تجلس فى وسط  
كوشة من البنات والازهار وعلى رأسها تاج أبيض ٠ والعريس  
ببذلته الكحلي يروح ويجي بين الناس ٠٠ والناس يخلقون  
فى الناس ويشربون الشرابات بالاربعة أكواب ٠٠ والصوان  
الفلخم مقام ٠٠ وصوت الميكروفون يذيع الأغاني والزغاريد  
ويقاع الرقص والصاجات ٠٠ وحيّ السيدة زينب الذى يبيت  
كلّ ليلة بعد صلاة العشاء ساهراً فى نوافذه يطلّ على ذلك  
العرس النادر ويحكى قصّة العريس والعروس مئات المرات ٠

وقلب الحاج بدوي فجأة وجهه ناحية زوجته ٠٠ ولعت  
عيناه الضيّقتان كعيني الصقر وهو يتأمل عظام فكّيها البارزة  
المدبّبة ٠٠ إنه لا يذكر أن رأى لزوجته وجهاً غير هذا الوجه  
٠٠ ولكم دعا فى كل ليلة بعد زفافه على أم يوسف الخاطبة  
٠٠ ولعنها ولعن أجدادها وبصق عليها وعليهم ٠٠ عشر سنين  
مضت وهو فى كلّ ليلة يصبّ اللعنات على رأسها كلّما رأى  
وجه زوجته ٠٠

وكانت سعدية طفلة في العاشرة تجري وتلعب .. وأحياناً  
تقفز فيرى ساقها وفخذيها السمينتين .. ولم يدر لماذا كان  
يبتل النظر إليها .. وحينما كان يستدرجها الى « البلكونة »  
ويجلسها الى جواره .. ويمرّ بأصابعه على ساقها يتحسّس  
بشرتها الناعمة كأنه يقول لنفسه : عيب يا حاج بدوي .. ده  
انت خالها .. وبترتيبها بعد موت أبوها .. عيب يا راجل ..  
ياللى حاجج بيت الله ..

لكنه كان لا يستطيع أن يقاوم هذه الرغبة الملحة كلما رآها  
وهي تقفز .. فرق كبير بين ساقها الناعمتين وبين ساقتي  
زوجته الرفيعتين الياستين ..  
وأحياناً حينما كان يفقد السيطرة على رغبته يضربها الى  
صدره .. ويداعب بشاربه الكثيف وجهها الناعم النضر ولا  
يتركها إلا بعد أن تخنقها رائحة التبغ في أنفاسه فتصرخ ..  
أو تعضّ أصبعه ..

وفي مرة .. لم يكن بالبيت سواها .. وكان مستلقياً على  
السريّر يعرّبد بأنفاسه مع الجوزة ويراقب سعدية وهي تلعب  
كعادتها، وأحسّ برغبة جارفة ، وشعر كأنّ دمه يغلي في عروقه  
.. ولم يستطع المقاومة .. وقام إليها وحملها .. ووضعها  
على السريّر .. وأحسّ الحاج بدوي بالعرق يتصبّب من جسمه  
فأزاح عن نفسه اللحف ، وتذكّر منظره وهو يلبث ثياباً  
ويضع عمامته على رأسه وينزل مهرولاً الى السوق .. ثم يعود  
إليها فيجدها كفت عن البكاء .. وحينما يعطيها الحلوى  
الكثيرة تبسّم في سداجة وتنسى كل شيء .. وأحس بالراحة  
.. إنها لم تفهم شيئاً ، لن تقول لأُمّها ..

وجفّ عرق الحاج بدوي فأحسّ بالبرد ، وسحب اللحف  
ليغطي أنفاسه ، فتعرّت زوجته وظهرت ساقاها الرفيعتان  
فنظر إليها بضيق .. إنّه يكره زوجته من أول ليلة ..  
ولقد كرهها أكثر بعد حادثة سعدية .. وأحس بالندم ..

وأصبح يفتر من البيت الى القهوة ليشرب الجوزة ويدردش مع  
الحاج محمد في الوقت الذى يبحلق فيه الى « سيقان » النسوة  
وهن يجترن الشارع أمامه .

وانتشلته من ضياعه الست حميدة . تلك الأرملة السمينية  
التي تسكن فى مواجهة القهوة ، وكان يراها وهو يجلس على  
القهوة تنظر بعين واحدة من فرجة الشباك ويرى يديها  
البيضاوين السمينتين وهي تمسك بضلفة الشيش ، وساعدته  
الست حميدة فى التعرف عليها . وفى زيارتها . وفى كل  
شيء . . واستعاض بها عن زوجته « الكركوبة » ونسى بها  
سعدية . .

لم يعد يثيره منظر ساقياها وفخذيها وهي تقفز . . حتى  
بعد ما كبرت واستدارت وبرز صدرها بشدة لم يشعر نحوها  
بأى شيء ، لولا تلك الحادثة المؤلمة التي وقعت منه . . والتي  
كانت تطفو على ذاكرته كلما فكر فى زواجها . . ولقد اختار  
لها حسين أفندى عريساً لأنه رجل طيب . . كان المرحوم أبوه  
رجلاً غيبياً ولا يمكن لحسين أفندى أن يرث الذكاء عن أمه . .  
لأنه فشل فى تجارة الطعمية بعد أبيه . . ونظره ضعيف . .  
ولم يصلح إلا فى وظيفته الحقيرة التي توسط له فيها أحد  
أقاربه . .

وانتفض الحاج بدوي فى فراشه ، وعاد الى ذاكرته صوت  
حسين أفندى ذلك الرجل الغيبى الطيب كما كان يظن ، وهو  
« يجهر » بأعلى صوته ويسبب الشرف ويصق على العرض . .  
ويصر على أن يطلق « بالثلاثة » قبل ظهور الشمس وأن يسترد  
مهرة وكل هداياه . . وأن يتنازلوا عن المؤخر وعن النفقة وأن  
ينها الموضوع فى السرّ وإلا يجعلهم مثلة الحى . .  
وأحسن الحاج بدوي بنار تتقد فى بدنه فقفز للحاف عن

جسده ورماء على جثة زوجته وقام يتمشى فى الحجرة ..  
لقد أصبحت رقبته فى « قصر » السمسة . وهو لا يستطيع  
أن يرفع رأسه فى الحى .. ولا أن يجلس على القهوة ، ولا حتى  
أن يرى الست حمدية ، إنه الآن فى نظر الناس كلهم رجل بلا  
شرف حتى يغسل شرفه ، والرجل عندهم لا يغسل شرفه الا  
بالدم ..

وصعد الدم الى وجهه ، إن سعيدة تنام الآن فى حجرتها ولا  
يفصله عنها سوى باب غير مقفل ..  
وتصوّر نفسه مرة أخرى الحاج بدوي الذى يمشى رافعاً  
رأسه ، ويجلس على القهوة .. مع الحاج محمد يشد أنفاسه  
مع الجوزة .. ويدردش .. وكلّ رجل يمرّ عليه يقرئه السلام  
.. والست حمدية .. آه .. مرة أخرى يذهب اليها وتأخذه  
بين أحضانها الدافئة .. ثلاثة أيام مضت وهو محروم من  
كلّ هذا ..

ووضع الكوفية على رقبته وأدخل « المطوة » فى جيبه ، ثم  
مشى على أطراف أصابعه ودفع باب سعيدة ببطة ..  
وفى الظلام الدامس أخذ يتحسّس بيديه حتى وصل سريرها  
.. كان كل جسمه يرتعد وأنفاسه تتلاحق بسرعة وكاد يفرّ  
من الحجرة بسرعة لولا أنه تخيل سرير الست حمدية وهى راقدة  
عليه تفتح ذراعيها لأحضانها ، وألهبه الحماس فأخرج « المطوة »  
من جيبه ومدّ يده على السرير يتحسّس رقبة سعيدة ولكنّ يده  
لم تصل الى شيء .. فاستعان بيده الأخرى .. ولم يعثر فى  
الظلام عليها .. ففتح النور ونظر على السرير ليجده خالياً .  
ونظر تحت السرير .. وفى الدولاب ووراء الشّاعة .. لكن  
سعيدة لم تكن هناك .

وعاد الى حجرته والعرق يتساقط من كل جسمه ، وزحف  
على السرير بجوار زوجته .. لقد هربت سعيدة قبل أن يقتلها

.. قبل أن يثبت للحجّ أنه رجل يغسل شرفه بالدم .. كان  
يجب أن يقتلها أول ليلة .. سيقولون إنه جبان .. لن يستطيع  
الجلوس على القهوة .. لن يرفع رأسه بين الناس .. لن  
يستمتع بأحضان الست حميدة الساخنة .. وجعلت عيناه  
في غيظ وحيرة .. وكانت « المطرّة » لا تزال في يده ورأى  
زوجته راقدة كأنها ميتة ..

ولم يدر لماذا أخذ يبذل في رقبتهما الرقيقة المعروفة وهي  
تصعد وتهبط مع شخيرها .. واهتزّت « المطرّة » في يده وخيل  
إليه أنه رفع يده بها وأسقطها على رقبتهما .. وانفجرت دماؤها  
في وجهه .. واختلطت بعرقه .. لكنه كان لا يفعل شيئا ..  
وترك « المطرّة » في يده وأعطاها ظهره .. وحينما أغمض  
عينيه وراح في غيبوبته ظهرت له صورة سعيدة .. طفلة  
صغيرة في العاشرة تمسك صرة ملابسها وتسير في الشوارع  
ليس لها ماوى .. وفتح عينيه .. وأحس بشيء ساخن سخونة  
الدم يسيل على وجهه .. وسمع صوت نشيجه هو يعلو ..  
ويعلو .. على صوت أنفاسه ..





## لهير وفش .. لهير وفش

كان ذلك منذ عشر سنوات أو أكثر قليلا ، وكان مدرّج على  
 باشا ابراهيم غاصّاً بالطلبة على سعته الكبيرة ، فهو أكبر  
 مدرّج بكلية الطبّ ، لكنه أصبح يضيق عاماً بعد عام بذلك  
 العدد المتزايد من طلبة الطبّ .. فكلّ طالب بالثانوي يريد  
 كلية الطبّ .. ويحلم بكلية الطبّ .. ويرى نفسه في منامه  
 وقد أصبح من هؤلاء السعداء الذين ينتمون الى كلية الطبّ ،  
 ويراهم كلّ يوم وهم يركبون الاتوبيس من محطة القصر  
 العيني ، وعلى أيديهم معاطف بيضاء متسخة تفوح منها رائحة  
 غريبة نفاذة لا بدّ أنها رائحة الجثث التي يشرحونها ، ويضحكون  
 في كبرياء ، ويتكلّمون بصوت عالٍ ، ويتبادلون كلمات  
 بالانجليزية ترنّ في قوّة وخيلاء .. لا شكّ أنها أسماء الأمراض  
 التي يكتشفون سرّها الدفين أو أسماء ما يشرحون من جسم  
 الإنسان ويقفون على كلّ ما ينطوي عليه ذلك المخلوق العجيب  
 .. وينادي كلّ منهم الآخر قائلاً : « دكتور » .. ويتساءل  
 طالب الثانوى بينه وبين نفسه إن كان « دكتور » تصغيراً أم

تكبيراً لللقب « دكتور » .. على أي حال فإن للكلمة وقعاً جميلاً  
 فى نفسه ، يحسن فيها شيئاً من الامتياز عن الناس ويرى  
 الإعجاب بها فى عيون ركّاب الاتوبيس .. ويبيت يحلم أنه  
 حصل على الثانوية ، ودخل كلية الطب ، وركب الاتوبيس ،  
 وفاحت رائحة نقّاذة من معطفه ، ونطق بكلمات إنجليزية ساحرة  
 .. وزميل يناديه يا « دكتور » .. ونظرات كلّها إعجاب تتّجه  
 إليه ..

وهكذا كانت الأحلام تتكاثر ، وتتكاثر معها وفود الطلبة الى  
 كلية الطب ، حتى بلغت الدفعة الواحدة فى أيّامى الخمسمائة  
 أو تزيد ، لا يعرف الطالب زميله ولا يمكن أن يعرفه ، ولا  
 يعرف الأستاذ الطالب ولا يمكن أن يعرفه .. ويقضي الطالب  
 ستّ سنوات ونصفاً فى الكلية على أقل تقدير ، ثم يخرج منها  
 ولا يكاد يعرفه أحد اللّهم الا بعض الفرّاشين الذين كان  
 يرشّوهم ليسرقوا له ذراعاً أو رجلاً أو جمجمة ، هذا اذا كان  
 طالب طبّ مثالياً فى نظر حرس الكلية على الاقل . أما اذا كان  
 طالب طب فاشلاً أصابته الملل من الجري بالمشروط وراه الشرابين  
 والأوردة والشعيرات الرقيقة فاتخذ لنفسه هواية أخرى غير  
 التشريح .. وهى الخطابة .. ولم يجد موضوعاً يمارس به  
 هوايته الا السياسة .. سياسة البلد . ونظام البلد ..  
 والاستعمار والانجليز .. و .. و .. فاذا ما انتهت مشاكل  
 البلد أو خيل له ذلك تحوّل الى سياسة البلاد الأخرى ..  
 فلسطين الشهيدة .. و .. و .. ويضرب بقبضة يده على  
 منضدة الأستاذ ويخطب بصوت جهوريّ تهتّز له جدران مدرّج  
 على باشا ابراهيم الشاهقة ، أما الطلبة فلا يكاد يسمعه أحدهم  
 ويعتونه شرّاً لا بدّ منه كلّ صباح .. أما حرس الكلية فهم  
 يولون موهبته الخطابية أهميّة أكثر .. ويدوّنون اسمه فى  
 سجلاتهم ، ويحفظون ملامحه فى صورة شمسيّة ، ويتعقبون



خطاه داخل الكلية .. فى المعامل .. والمدرجات ودورات المياه .. ولا شك أن هذا العمل مفيد الى حد ما . فهو يخفف فراغهم الموحش بعض التخفيف ويرضى غرور الطالب الفاشل بعض الرضا ..

وفى ذلك اليوم كان المدرج بمقاعده وأرضه ونوافذه مختفياً تحت أجساد الطلبة المتلاحقة .. وزفيرهم الساخن يرفع حرارة الجو فنصبح فى الصيف ونحن فى الشتاء ، وكنت البس معطفاً سميكاً كاللحاف لم أجد بداً من أن أخلعه وأضعه فى حجري ، وهو المكان الوحيد الذى بقي خالياً فى المدرج .

وكان الصخب يملأ المدرج والأصوات العالية الغليظة الجشاء تهز طبله اذنى الرقيقة فتكاد تمرقها .. ولم أكن أدري مصادر كل هذه الأصوات المتباينة المتنافرة ، لكنني كنت أرى المدرج وقد امتلا بافواه متلاصقة تتسع وتضيق ، وتضيق وتتسع ، فى سرعة عجيبة تسبق العين .. وهناك على مرمى البصر وقف مكان الأستاذ طالب أعرفه .. والحق أنني لا أعرفه شخصياً لكنني أستطيع أن أتعرف على ألفه من وسط آلاف الأنوف .. فهو خطيب الدفعة .. وكل دفعة لها خطيب على الأقل . وكان لدفعتنا خطيب واحد .. ولهذا فقد كانت فرقة حسنة السعة .. يتنبأ لها حرس الكلية بالنجاح المطرد .. هذا اذا لم يزد عدد الخطباء أثناء الدراسة الطويلة الشاقة .. وكثيراً ما كان يزداد ..

وكان الخطيب واقفاً كالضرغام ، يهدر ويهبد ، وكلماته النارية تندفع فى اذنى كطلقات الرصاص ، لا تلبث أن تستقر فى رأسي وتفرقع : « أيها الشباب .. أيها الابطال ! .. هذا هو يومكم .. الوطن يناديكم فلبوا النداء ! أيها الشباب .. ليس مكانكم هنا فى المدرجات .. وليس عملكم التشريع والمرورات .. ولكن مكانكم هناك .. فى ساحة القتال . فى

ارض القنال ! .. هيا ايها الشباب ! دعوا المشارط والمحاضرات  
 .. ودعوا الكتب والمذكرات .. هيا انطلقوا ! الى الميدان .. الى  
 الى الميدان .. الى الميدان ! الى الكفاح الى الكفاح ! .. الحرية  
 او الموت .. الاستقلال او الهلاك ! .. ايها ال ... »

وظهر الأستاذ في فتحة الباب ، واختفى الخطيب ، وانقطع  
 الهدير .. وتوقف الصخب .. وثبتت الأفواه المتحركة ..  
 وساد السكون في المدرج . ووقف الأستاذ بقامته القصيرة  
 النحيلة ينظر من خلال نظارته السمكية الى الطلبة في تحفز  
 .. كأنه يتوقع هجوماً من أحد .. أو كأنه يسلم جسمه  
 بنظرات قوية قد تخيف تلك العيون الشاحصة اليه من كل  
 شبر في المدرج .. وظلّ الأستاذ دقيقة أو دقيقتين متسلحاً  
 وراء نظارته الغليظة ، والصمت التام يشمل المدرج .. والطلبة  
 يجلسون متاهبين مترقبين ، أقلامهم في أيديهم ، ومذكراتهم  
 مفتوحة ، وأنفاسهم مكتومة ، وآذانهم مرهفة تنتظر أول درة  
 تسقط من بين شفطي الأستاذ الخطير ..

وأخيراً انفرجت الشفتان .. لا عن درة إنما عن قنبلة ..  
 « هيتروفس .. هيتروفس » .. وتشنجت نظرات الطلبة  
 يحبلقون في الأستاذ .. وساد الصمت ثانياً . ثم انطلق  
 الصوت الرقيق الحاد مرة أخرى كطلقة المدفع : « هيتروفس .  
 هيتروفس » وتصلبت رؤوس الطلبة وهي مشدودة نحو الأستاذ  
 بلا وعي وكأنه ألقى في وجوههم بتعويذة من التعاويذ أو طلسم  
 من الطلاس .. وارتخت عضلات الأستاذ المتحفزة .. لقد  
 ملك زمام الطلبة وسيطر عليهم . ونظر اليهم في كبرياء وزهو  
 وراح يتمشى من اليمين الى اليسار .. ومن اليسار الى اليمين  
 واضعاً يده في جيبيه .. ثم استدار في عظمة وأمسك بأطراف  
 أصابعه قطعة من الطباشير كأنه يمسك صرصاراً أو خنفساء ،  
 وكتب على السبورة بالانجليزية : هيتروفس .. هيتروفس ..

ثم استدار الى الطلبة ونفض يده من الطباشير ووضعها في جيبه وأخرج ورقة مطوية فضّها وبدأ يقرأ .. وانكفات رموس الطلبة يدنون محاضرة اليوم في علم الطفيليات .. وانقضت دقائق قليلة اتخذ فيها صوت الأستاذ نغمة واحدة رتيبة جعلت رأسى يدور، وشعرت برغبة فى النعاس .. لكنني افقت فجأة .. شيء ما قطع تلك النغمة الرتيبة المنظّمة .. وارتفعت رموس الطلبة وتلفتت هنا وهناك لتعرف مصدر الصوت النشاز ..

ورأيته هو بأنفه .. خطيب الدفعة .. واقفاً منتصباً بين الرموس .. وسمعتة يقول : « هل لي أن أسأل سؤالاً ؟ » .. وتوقّف الأستاذ وصوّب نحوه نظرة حادة كالخنجر لم أفهم منها هل ساءه أن يقطع عليه سلسلة الإملاء ، أو خشي أن يسأله سؤالاً لا يعرف جوابه .. وسمعت الأستاذ يقول له فى صوت رفيع حادّ : « الاسئلة آخر المحاضرة .. ليست الآن » ! فردّ الطالب الخطيب بحماس لا يفارقه أبداً : « ولكنني لا أستطيع أن أتابع المحاضرة .. إنه سؤال خاصّ بالعنوان » ..

وارتسمت على وجوه الطلبة نظرات الاهتمام والاستطلاع والتعجب .. وقال الأستاذ : « أيّ عنوان ؟ » .. فقال الطالب « عنوان المحاضرة » .. والتفت الأستاذ الى السبورة ثم الى الطالب وقال فى آلية : « هيتروفس .. هيتروفس » وسكت الطالب وبلغ ريقه ثم قال : « هل الأسماء قليلة الى ذلك الحدّ ؟ » .. ألم تكن هيتروفس واحدة كافية ليسبّمي بها الطفيل ويكون الاسم الثانى شيئاً آخر بدلا من التكرار .. أم انها قليلة فى الاسماء ؟

ودوت خمسمائة ضحكة أو أكثر اهتزّ لها المدرّج وارتعدت جدرانها .. وابتسم الأستاذ ابتسامة ساخرة عليها مسحة من العلم المزوج بالفلسفة وأخذ يتمشّى واضعاً يديه وراء ظهره

ومطرقاً رأسه كأنما يفكر في الردّ .. ثم توقّف ونظر الى الطالب وقال في سخرية : ليست قلة في الأسماء ، ولكنها عادة عند بعض الطفيليات أن يسمّى الابن بنفس اسم أبيه .. وضحك الطلبة .. وارتسمت على وجه الأستاذ فجأة امارات الصرامة وتلاشت ابتسامته وعاد يتسلّح ضدّ موجة الضحك والهرج بنظراته القويّة الحادة .. وقال للطالب في شدّة : اجلس ولا تسأل هذه الأسئلة السخيفة مرّة أخرى .. ثم نظر الى ساعته وقال غاضباً : لقد أضعت من المحاضرة عشر دقائق .. إنك طالب مشاغب .. ما اسمك ؟

وسكت الطالب وطاقاً رأسه وقال بصوت خفيض : حسين

حسين شاكر ..

وضجّ الطلبة بالضحك .. وقصف المدرّج برعد القهقهة العالية .. ونظرت الى الأستاذ .. كان يضحك هو الآخر .. وفرحت .. فقد كانت المرّة الأولى التي رأيته فيها يضحك منذ دخلت الكلية .. أما خطيب الدفعة فقد خلع عليه الطلبة اسماً جديداً هو : هيتروفس .. هيتروفس شاكر .. وظلّ هذا الاسم العجيب يطارده حتى تخرّج في الكلية بعد خمسة عشر عاماً وأصبح طبيباً ناجحاً ..

## السّيء الصّعب

كان صوته العميق الهادئ ينساب في الليل ، ويصل الى  
اذني دائماً هادئاً يريح أعصابي المرهقة من العمل طول اليوم ،  
ويجعلني أمدد ساقيّ على السور الحديدي في استرخاء يشبه  
النوم ، وأترك نظراتي المطمئنة تهيم في صفحة النيل الساكنة  
•• هدوء •• هدوء عجيب يخلفه صوته ، ونظراته ، وحركاته  
في كل مكان يوجد فيه •• وأنا أحب كل شيء هادئ في  
الرجل •• ليس دائماً ••

وارهفت أذني الى الصوت العميق أستمع •• كان يحدثني  
عن نفسه ، عن طفولته ، وحياته ، وشبابه • عن أمه وأبيه ،  
وأخيه •• عن تجاربه مع النساء •• عن عمله •• عن ماضيه ،  
وحاضره ومستقبله •

• كان يتكلّم ، وكنت أستمع ، وأنا أنظر في عينيه ال  
العسلّيتين •• لا •• البَيّيتين ؟ لا ليستا بَيّيتين • ما لونهما ؟  
لا أدري •• ليستا سوداوين ولا زرقاوين ، ولا خضراوين ••  
ولكنّ لهما مع ذلك لون أراه ، وأحسّه ، وأفهمه •• لون غريب  
عميق •• كأنّه طبقات كثيفة كثيرة ، متراكمة بعضها فوق  
بعض ، ليس لها قرار ، وليس لها سطح •• شيئان كرويّان  
يطلّان على عالم معلوم ، وغير معلوم ، وينغذان الى عالم مجهول  
وغير مجهول ••

وسمعه يقول :

- ولكن لماذا أحكي لك كل هذا عن نفسي ..

ونظرت الى طبقات عينيه وابتسمت .. فقال :

- لا أدري .. ولكنني أشعر أنني أريد أن أحكي لك كل

شيء عني .. حتى تلك الأشياء التي كنت أخجل منها بيني

وبين نفسي أريد أن أحكيها لك ..

وأسند رأسه الى ظهر الكرسي في راحة واسترخاء ونظر

بعينه العميقتين في السماء .. وظل قائماً في ذلك السواد

الداكن فترة كأنما يبحث فيه عن شيء ، ثم التفت إلي .. ونظر

في عيني نظرة طويلة ، أحسست بها تمشي في كل كياني ،

وتصيبني برجفة غريبة كأن شحنة جديدة من الأحاسيس

اجتاح نفسي وجسمي ..

ورأيت يقترب مني .. وامتدت أصابعه تبحث عن يدي

وأمسكها بكلتا يديه .. واستكانت يدي بين كفيه الكبيرتين

الدافئتين كما يستكين العصفور الوليد في صدر أمه ..

لكنها لم تكن سوى لحظة ، لحظة استكانة قصيرة غافلت فيها

عاطفتي عقلي ، وتسربت مني تريد أن تمارس حقها في أن

تعيش .. وأن تستكين .. وأن تهدأ .. وأن تضع رأسها

على صدر عريض حنون .

لم تكن سوى لحظة تنبه بعدها عقلي ، وشد عاطفتي من

لجامها فأخضعها .. وجذبت يدي من كفيه الدافئتين الكبيرتين

فشعرت بالبرد .. كأنني تعريت في برودة الليل .. كأنني

فقدت مأوى في يوم مطير .

وانتفضت .. انتابني شعور بالخوف ، ذلك الخوف الذي

يشعر به المرء حينما تتولد في نفسه حاجة جديدة الى شيء

ضروري قد لا يستطيع الحصول عليه ، أو قد يضيع منه لو

أنه حصل عليه ..

وقادني الشعور بالخوف الى رغبة في التمرد .. ذلك التمرد  
الذي يحسن به العاجز ليضيفي على نفسه قوة من عنده ..  
وجدتني من حيث لا أدري أغضب .. وقلت له في ثورة :  
- ماذا تريد مني ؟

قال في حنان :  
- أحبك .. أحبك .. أحبك ..  
قلت في ثورة :

- هل نسيت أنك رجل متزوج ؟ إنني لا أقبل هذا الحب  
لأنني أعرف نهايته ..  
قال في هدوء :  
- وما نهايته ؟  
- ستأتي بعد فترة وتقول لي .. لن أستطيع التخلي عن  
زوجتي ..

- لن أقول ذلك ..  
- ولن أقبل منك أن تتخلى عن زوجتك ..  
وسكت قليلا .. ثم قال :  
- وما الذي يرضيك الآن ؟  
- ألا نتقابل ..  
- أبدأ ؟ ..

- أبدأ ..  
- هل هذا هو الحل ؟  
- ليس أمامنا سواء ..  
- إنني أوافق على شرط ..  
- ما هو ؟

- إن تقابليني حينما تريد أن تغيري هذا القرار ..  
وافترقنا .. ومضى يوم .. واثنان .. وثلاثة ..

وفى نهاية اليوم الثالث جاءني صوته العميق الصادق  
يقول :

- أريد أن أراك ..

- متى ؟

- الآن ..

وجلست الى جواره استمع الى صوته العميق الهادئ ،  
وأشعر براحة تسري في أعصابي المرهقة ، فأمّدت ساقبي على  
السور الحديدي في استرخاء يشبه النوم ، وأترك نظراتي  
المطمئنة في صفحة النيل .. قال :

- لن يكون بعد ذلك قرارات ..

وضحكت .. فقال :

- أتضحكن .. ماذا فعلت في الأيام الثلاثة ؟

- وماذا فعلت أنت ؟

قال وهو شارد وعينه في السماء :

- تعذّبت ..

وشعرت في هذه اللحظة أنني أريد أن اقترب منه ..  
وأمسك رأسه بين يدي وأسنده على صدري لأمنع عنه  
العذاب ..

ونظر في عيني .. وكأنه قرأ رغبتى فقال في صوت  
غضوب :

- لماذا تحبّين الرجل الضعيف ؟

- لأننى أشعر أنه يحتاج إليّ ..

- إننى أحتاج إليك ..

وانتابنى مرة أخرى الشعور بالتمرد فقلت له في ثورة :

- أنت لست فى حاجة إليّ .. ستعود بعد قليل الى

زوجتك ..

وسكت فترة طويلة ، وعينه تفتّشان في ظلمة الليل عن



الإجابة .. ثم قال :

- أنت لا تعرفين .. أنّ الطاقة التي يشحنها الحب لا يفرغها  
إلا الحب ..

وأعجبني كلامه .. لكّتي رددت قائلة :

- هل طاقة الحب تفرغ ؟

- لا .. إنّ الحب يشحنها من جديد ..

وسكّت قليلا لأفكر .. وأحسست به يقترب منّي ويقول :

- خبّريني ماذا تريدن ؟

فقلت في ذعر وأنا أراه يقترب مني أكثر وأكثر :

- لا شيء ..

قال في شدّة :

- مامعني لا شيء هذه ؟ أنا لست مستعدّا لأن أضحيّ بحبي

لك .. ساكافح من أجله .. لن أضيع فرصة حياتي ،

سأتخلّى عن كلّ شيء إلا أنت .. هل تتزوّجينني ؟

وسرت رجفة في كياني ولم أشعر إلّا وأنا أضح يدي على

فمه وأقول :

- لا تقل ذلك ؟ لا أستطيع ؟ .. هل نسيت زوجتك ؟

- إنّني أشعر أنّي ارتبط بك أنت ولا ارتبط بها .. إنّني

لاستطيع أن أتخلّى عنك .. لم يكن زواجي إلّا وظيفة ألقيت

على عاتقي ..

- لا .. لا تقل هذا .. ساعود الى القرارات مرة أخرى ..

قال في حزم :

- أنت لا تملكين إصدار هذه القرارات وحدك .. إنّك

لم تعود وحيد .. لقد ارتبطنا .. أيّ قرار إن كان هناك

قرارات يجب أن نصدّره معاً .. ونوافق عليه معاً ..

واقتربت يداها منّي تبحثان عن يديّ .. وعثر عليهما .

واستكانت يدي بين كفيّ الكبيرتين الدافئتين كما يستكين

العصفور الوليد فى صدر أمه •  
 ومرة أخرى لم تكن سوى لحظة •• لحظة استكانة قصيرة  
 غافلت فيها عاطفتي عقلي وتسربت منيّ تريد أن تمارس حقها  
 فى أن تعيش ••  
 لحظة قصيرة لمعت كالبرق ثم أدبرت سريعاً •• وتنبه عقلي  
 وانتزع قلبي من بين كفيه الحائيتين الدافئتين ••  
 ونظر إليّ فنظرت بعيداً عنه فى صفحة النيل •• وسمعته  
 يقول فى مرارة وألم :  
 - إلك لم تحبيني !  
 وافترقنا بلا قرار على الآ نعود •• ومضى يوم •• واثنان •  
 وثلاثة ، وأربعة ••  
 وبثّ الليل مؤرقة افكر •• وبدأ لى السرير خشنا كأنه  
 مصنوع من الحجر ، وبدت لى الوسادة يابسة كأنها مليئة  
 بالمسامير •• وبدأ لى الليل طويلاً ممتداً ، كأنه لن ينتهى ••  
 وعيناى الممزوان المسهّدتان تجوبان فى ظلمة الليل تبحثان  
 عن أشياء أحسّتها ولا أفهمها ، وأفهمها ولا أصدقها ، وأصدقها  
 فأعود لا أفهمها ••

لماذا قلت له لا ؟ •• لماذا تخلّيت عن حياتي ؟  
 وتقلّب كياني المرهق ينشد مكاناً على السرير أقل خشونة ،  
 وتحرك رأسى الثقيل على الوسادة يتلمّس بقعة خالية من  
 المسامير •• ساطله فى الصباح وأسحب هذه اللا ••  
 وسبقنى •• كان يسبقنى ببضع دقائق • وجاءنى صوته  
 الحبيب يسألنى عن صحّتي •• وقلت له :  
 - ماذا فعلت فى تلك الأيام الأربعة ؟  
 قال لي :  
 - وماذا فعلت أنت ؟  
 قلت له :

— تعذبت ..

وسكت قليلا .. فقلت له :

— أريد أن أراك ..

— متى ؟

قلت :

— الآن ..

وانساب صوته العميق الهادئ في أذني يريح اعصابي ،  
ويجعلني أمّدد ساقي على السور الحديدي في استرخاء يشبه  
النوم ، وأترك نظراتي المطمئنة تهيم في صفحة النيل ..

وسألني وهو يبتسم :

— لم تقولي كيف تعذبت ؟

ونظرت في طبقات عينيه الكثيفة الكثيرة ثم قلت له :

— لماذا تحبّ المرأة الضعيفة ؟

قال :

— أنا لا أحبّ المرأة الضعيفة أبدا .. ولكني أحبّ المرأة

القويّة حينما تضعف ..

وأحسست فعلا أنّني أضعف .. وأنني لا أستطيع أن أقاوم  
كفّيه الكبيرتين الدافئتين ، ورأسي الثقيل المتعب وهو يميل  
ليستريح على صدره العريض ..

لحظة استسلام بعد أيام من الصراع .. لحظة انتصار العاطفة  
على العقل بلا خجل .. بلا عقد .. بلا صراع .. أروع لحظة  
في الحياة ..

ومضت اللحظة ولم أعرف مداها .. خلت أنها عمر جديد  
يضاف الى عمري .. عمر جديد كامل له ماضٍ ، وله حاضر ،  
وله مستقبل ..

ومضت اللحظة رغم روعتها .. ورغم عمرها .. مضت كما  
يمضي كل شيء رائع في الحياة وانتهت كما ينتهي أي عمر مهما  
بلغ مداه ..

وفتحت عيني ، واسترددت يدي ورفعت رأسي ، وأمسكت  
حقيبتى ، ووقفت ..

قال :

— ماذا حدث ؟

قلت :

— كل شيء ينتهى ..

— ولماذا تهربين ؟

— إنه شيء صعب ..

— ما هو ذلك الشيء الصعب ؟

— إن كل شيء ينتهى ..

وسمعتنه يضحك فى مرارة وسخرية ويقول :

— انتهيت من مشكلة زوجتي فخلقت مشكلة أصعب .. لماذا  
تعاملين نفسك بهذه القسوة ؟ لماذا تتركين عقلك وعاطفتك  
يتصارعان ؟

ونظرت فى أسى الى صفحة النيل فاقترب مني ، وأمسك  
يدي فى شدة وقسوة وقال :

— لن تكسبي شيئاً من هذه المعركة لأن ميدانها الوحيد هو  
نفسك ، نصف ذاك يصارع النصف الآخر .. والنتيجة  
بالنسبة لك شيء واحد .. هو أنك تخسرين نصفاً دائماً ..  
ونظرت فى أعماق عينيه أفتش عن شيء من هذا الصراع  
عنده وقلت له :

— وأنت ؟ ألسنت مثلي ؟

قال فى ثقة غريبة :

— لا .. إن ذاتي لا تتصارع .. إن عقلي هو قلبي . وقلبي  
هو عقلي ..

واحسست أنه أكثر منى .. وأقوى منى .. أكثر طبيعية  
.. وأكثر بشرية . أكثر انسانية .. ووددت فى تلك اللحظة

أن ألقى نفسي بين ذراعيه القويين وأقول له :

- علمنى .. علمنى !

وكانما أحس رغبتي فنظر إليّ وكأنه يحتوينى بكل كيانه  
وقال باسمي :

- ساعلمك ولنبدأ من هذه اللحظة ..

واعتدل في كرسيه ، وقال كأنه أستاذ يخاطب تلميذه :

- والآن وقبل كل شيء يجب أن تعترفي .. هل تحبينني ؟

وكان جاداً .. وكان راضياً .. وكان قوياً .. وكان محباً

ونظرت في أغوار عينيه العميقتين فأحسست أنه .. أنه رجلي

الوحيد وقلت له :

- نعم أحبك ...

ورأيتنه يبتسم ابتسامة عريضة ثم يضحك في انطلاق غريب

وسمعتنه يقول وهو ينظر في عينيّ بحنان كبير :

- هل كان شيئاً صعباً ؟

قلت وأنا أنظر بعيداً عن عينيه حتى لا يكتشف كذبي : /

- أبداً ؟ لم يكن شيئاً صعباً ..





## مجرد صورة

صعدت هند مسلّم القطار وقفزت داخل الديوان لتلحق بالمقعد المجاور للنافذة، تماماً كما كانت تفعل وهي طفلة ، لم تغيّرْها عشرة أعوام طويلة كبرت فيها واستدارت ونضجت ونالت اللبسانس وتزوّجت .. لكنها هي هند التي يسعدُها أيّ شيء ، وأقل شيء ، مثل السفر وركوب القطار والجلوس بجوار النافذة ..

وجلس الى جوارها زوجها حسين بعد أن شبّ على قدميه ، ووضع الحقيبة فوق الرف ، ونفض يديه بتأنٍ .. إنه هادئ الأعصاب كما يبدو من ملامحه الهادئة فيما يشبه الابتسامة ، وحركاته البطيئة كأنّه لا يتعجّل شيئاً .. واثق أن كلّ شيء يأتي في أوانه ..

وتحرّك القطار وهند تطلّ من النافذة وتراقب بيوت القاهرة وهي تتراجع الى الوراء ، والقطار متّجهٌ ناحية الشمال الى الاسكندرية ..

وجفّت الابتسامة على شفّتها وانتشر على ملامحها وجوم سريع .. هذه أوّل مرة تسافر الى الاسكندرية بعد زواجها .. وكانت آخر مرة في صيف العام الماضي بعد أن نالت اللبسانس بدرجة « جيّد جداً » ، وعيّنت في وظيفة ممتازة بعد النجاح بشهر واحد ، وقبضت أوّل مرتّب ستة عشر جنيهاً ، وأخذت

أجازة مرضية وسافرت الى الاسكندرية .. وهناك وسط  
الأمواج الباردة كانت تقذف جسمها الساخن وتنطلق بذراعيها  
وساقها . تسبح كأنها طائر يعوم فى الهواء ثم تخرج من الماء ،  
وتنثر شعرها الناعم ليقتطف بالماء عنه ، وتمتد جسمها المبلل  
تحت الشمس . وتضع رأسها على الرمل الدافئ وعيناها  
نحو السماء تتقلبان وتفتشان فى الزرقة العميقة الداكنة عن  
أشياء .. أشياء كثيرة تفكر فيها أولها سعادتها .. سعادتها  
هي .. لقد حبست نفسها عشرة أعوام فى المدرسة والجامعة  
والبيت لتذاكر وتنجح وتنال الليسانس وقد تحقق لها ذلك  
.. ماذا بقي إذن ؟ لا شيء سوى أن تعيش ، أن تطلق من  
نفسها ما كانت تكبله .. ولم تكن تكبل سوى مشاعرها ..  
أحاسيسها كامرأة .. رغباتها ، استطلاعها ، شقاوتها ، وكانت  
شقية بطبيعتها .. متحفزة متحمسة .. مليئة بالحياة متعصبة  
لها ..

وقضت ثلاثين يوماً فى الاسكندرية تساوى ثلاثين عاماً من  
عمرها الذى فات ، عرفت أنواعاً كثيرة من الرجال ، الشباب  
الذى يدلي خصلة من شعره على جبهته ويلبس المايوه الضيق  
ويتختر أمام الكباشن بطرقة باللبان فى فمه ، والسلسلة فى  
يده .. والرجل المتفلسف الذى يلبس الشورت ويجلس  
وقوراً أمام الكابين ويمسك كتاباً بالقلوب .. والرجل الهائم  
على وجهه يزوغ بصره هنا وهناك وتخرج من بين شفثيه من  
حين الى حين ثقليقة أو تعليق .. رجال فى كل مكان يكثرون  
ويتكاثرون فى الصيف كأنهم ذباب .. وهى لم تعرف الرجال  
وان كانت قرأت عنهم فى الكتب .. لكنها فى هذه الأيام  
القليلة تريد أن تراهم عن كثب .. أن تسمع كلامهم ، أن تقرأ  
أفكارهم ؛ أن تلمس عضلاتهم وشواربهم .. ولم تكن تريد  
واحداً بالذات .. كان فى خيالها رجل .. فتى أحلامها ..



لكنها لم تكن تبحث عنه او انها اجلت البحث عنه حتى ترى  
وتفرج وتتمتع في الفرجة .. واصبح كل يوم من هذه الايام  
الثلاثين مليئاً بالمواعيد مشحوناً بالشخصيات المتناقضة ..  
في الصباح تسابق في الماء شاباً ملئاً يخيّل اليها أنه فتاة  
قصّت شعرها .. وتحت الشمسية على الرمال تجلس مع  
رجل يأكل الكلام كانه من جوعه للحم الآدمي يلتهم لسانه  
وينظر اليها كخريت طلع تواء من الماء .. وفي المساء تجلس  
في الكازينو المطلّ على البحر مع رجل اشيب يخلط الأدب  
بالفلسفة والحب بالموت كانه يضرب الرمل ويخط بالورد . ولم  
تكن تريد إلا أن تنفّج على الرجال ، أن تعرفهم، أن تدرسهم .  
ووقف القطار فافاقت من خيالها .

ونزلا من القطار وهند تتأمل محطة سيدى جابر بوجوم، لقد  
انتهى صيف العام الماضي ، وانتهت معه كلّ مغامراتها ولم يبق  
في نفسها شيء بالمرّة سوى مفاهيم دخلت رأسها عن الحياة  
والناس .. وبعد الثلاثين يوماً عادت الى القاهرة لتلتقي صدفه  
بفتى أحلامها حسين وتزوجه .

ونظرت الى زوجها ورأت ملامحه الهادئة الباسمة ، واحسّت  
انها تثق فيه كما تثق دائما ، لكنها لم تكن تدري ما سرّ ذلك  
الوجوم بداخلها ..

إنّها لا تخاف شيئاً، وضميرها لا يؤنبها على شيء .. كانت  
كلّها مغامرات بريئة .. مجرد تجارب نفسية لا تحرّك  
إلا تفكيرها وتأمّلاتها .. لم يمسّ قلبها أو وجدانها إنسان ولم  
يهز أنوثتها رجل .. كانت كالعالم المعجوز الذي يشرح في  
معمله مجموعة من الضفادع والفيران .. وعلى أيّ حال، فقد  
انتهى الصيف ، ومات في الماضي كما يموت أيّ شيء ولا يبقى  
له اثر .. وعادت اليها طمأنينتها حينما تذكرت مسألة الموت  
هذه .. كانت تستخدم ذكرى الموت دائما لحلّ مشاكلها لأنها

تشجعنها بموجة استخفاف بالحياة ، وما فيها من مشاكل  
واهتمامات وعقد .. وتقول لنفسها مادام الانسان حتماً  
« ميتاً » فكلّ ما في حياته حين تافه .. وبهذا استخدمت  
ذكرى موت جدّها في التخفيف من وطأة حزنّها على تأخرها في  
التوجيهية ، واستخدمت ذكرى موت أمّها في التخفيف من  
حزنّها على موت أبيها وهكذا .

ولكنّ هذه الحالة لا تلبث لحظات كأنّها ومضات روحية قويّة  
لا تلبث أن تنطفئ ، وتتركها « إنسانة » عادية في مهبط  
الحياة ، تحزنها أشياء صغيرة مثل فقدان نصف ريال ويسعدّها  
أيضاً أشياء تافهة مثل السفر، وركوب القطار والجلوس بجوار  
النافذة ..

وقضيا أياماً سعيدة في الإسكندرية .. الصباح كلّهُ للبلّاج  
والبحر ، والمساء كلّهُ للسهر والفسح والرقص .  
حتى كان صباح ، وهند وحدها تحت الشمسية ، تمّد  
جسمها المبلل بالماء على الرمل الدافئ وعيناها ناحية السماء  
لا تثقلان ولا تفتشان عن شيء .. إنها سعيدة في حياتها  
ولا تطلب مزيداً من شيء .. وفجأة وقف أمامها مارد طويل  
حجب عنها السماء والبحر ونهضت برأسها وهي تصيح في  
دهشة : « مين ؟ »

وردّ عليها صوته الغليظ : « مين ايه نستيني ؟ »  
وابتسمت في عدم اهتمام قائلة : « تقريباً »  
واحمرّ وجهه من لهجتها ونظر إليها من قدمها الى رأسها  
كأنه يفحصها بلا إعجاب ثم قال : « تقريباً يعني ايه ؟ »

وغاظتها نظرته الجريئة الوقحة ولهجته الشديدة الآمرة ، كان هو  
كذلك دائماً .. جريئاً وقحاً معتدّاً بنفسه مغروراً .. لكنّها لم  
تضقّ به كما ضاقت هذه المرة .. كانت في العام الماضي لا يهتمّها  
شيء سوى أن تتفرّج .. وكانت تقبل الناس على علائهم

وبأخطائهم وعيوبهم لأنهم كانوا لا يهتمونها في شيء ٠٠ لكنها اليوم ، وبعد أن أحبت وتزوجت ، يهتم زوجها وتهتم سعادتها وهي لا تسمح لأي رجل أن يكلمها بلهجة شديدة أمرة، إلا زوجها في أوقات غضبه فقط ويعتذر بعدها ٠٠ ولكن هذا الرجل من يكون ٠٠؟ ذلك الشاب المستهتر الذي قابلته في الصيف الماضي ، والذي لا مبدأ ولا عمل له ٠٠ الذي يظهر على البلاج في موسم الصيف كما يظهر التين الشوكي في شهر يوليو والبلح في سبتمبر ٠٠ مجرد كائن حي يمشي على رجله ويكسو صدره شعر أسود ويلبس في أصبعه الصغير خاتماً من الماس ، وأبوه كان باشا أيام الباشوات ٠٠

واحمرّ وجهها من الغيظ وهي تراه يثنى جسمه الطويل ويجلس في برود بجانبها على الرمل ، وانتفضت واقفة على ركبتها وهي تقول بشدة : « تسمح تقوم من هنا ! » وأصابه برود أشد لثورتها فأجاب بهدوء وعناد : « مش قايم ! » ولم يشعر إلا ويدها ترتفع وتهوي على وجهه في لطمة قوية وهي تأمره بلهجة حادة كالكرباح : « اتفضل قوم بسرعة ! » واحمرّ نصف وجهه الذي أصابته اللطمة واصفرّ النصف الآخر ، ونظر إليها نظرة ارتعدت لها مفاصلها ٠٠ نظرة فيها دهشة وشرّ وحقد ٠٠ نظرة رجل مصاب في كرامته إلى أبعد حدود الإصابة ٠٠ وفرد جسمه الطويل ، وقام في ثناقل ، ومشى خطوتين ثم استدار إليها وقال في صوت متغير غريب : « لازم أدفعك تمن الصفعة دي ! »

ودق قلبها بعنف ٠٠ لماذا يقول هذا وماذا يملك حتى يستطيع أن يفعل ضدها شيئاً ويغرمها ثمناً أيّ ثمن؟ وغاب لون الدم من وجهها وارتعشت أصابعها في الرمل ، وأحسّت بيد قوية تمسك قلبها ، لقد تذكّرت الصورة ، الصورة التي التقطت لها وهي جالسة بالمايوه وبجوارها ذلك الشاب

يوشوشها في أذنها .. كانت أيامها تحيا في فكرة معينة عن الحياة تريد أن تعيش فيها فترة وقد انتزعت نفسها من بين البشر لتتفرج عليهم ، وهي ليست منهم، فماذا يضرها من صورة أو آلاف الصور .. مجرد ورقة عليها رسومات !! لكنها الآن تحس شيئا آخر ..

صحيح أنها ورقة ولكنها تسجل جزءا من حياتها .. تسجل موقفا لها مع رجل يستطيع من يراها أن يحكى عنهما ألف قصة وقصة .. وشعرت بالخوف فتذكرت الموت وقالت لنفسها: الناس تموت كل يوم .. واليوم الذي يفوت لا يعود مرة أخرى أي أنه يموت .. ولكن هذا غير صحيح .. الماضي قد لا يموت، قد تسجله أشياء تافهة مثل ورقة أو صورة فيبعث حيا من جديد .. ورقة حقيرة صغيرة يذبيها قليل من ماء البحر، ولكنها تقف أمامها كأنها ثلاثون يوما كاملة بكل دقائقها وثوانيتها وكل حوادثها وشخصياتها ومفارقاتها .. هذه الورقة في جيب هذا الرجل المغرور .. إنها سلاح يمكنه أن يستعمله ضدها .. والرجل الحقير لا يلعب حقارته مثل إهانة امرأة له ..

وقضت هند صباحا سيئا .. تفكر في الصورة وتصور الرجل وهو يعطي زوجها الصورة ويحكي له قصة حب خرافية وأي قصة حب يمكن أن تتركب على صورة رجل وامرأة يتهامسان .. وفجأة ، أحست هند بيد على كتفها فانتفضت .. كان هو زوجها وقد عاد معه السندوتشات وزجاجة بيرة .. ووضع الأشياء وهو يقول لها باسم :

« انت نمت واللا ايه ؟ » ..

وابتسمت في إعياء وهي تردّ مازحة كعادتها : « ايه » .. وضحك زوجها وهو ينظر في عينيها : « دمك خفيف .. عمرك ما تنسى النكتة دي أبدا .. »

ونظرت اليه هند بعناية كأنها تراه لأول مرة وتفحصه

وتفتش في عينيه ويديه عن مدى حبّ لها وثقته فيها ٠٠ ورأت  
عينيه الباسمحين ويديه الهادئتين الواصلتين فهدأت ٠٠ إنّه  
حسين ٠٠ زوجها الذي أحبّه ، والذي يملأ حياتها ، ويستولى  
على قلبها ، وتحسّ بكل الرجال الى جانبه كأنهم نساء ٠٠  
وأعادت النظر الى عينيه ويديه ٠٠ إنّه رجلها وحبيبها، ولكن  
ماذا يكون من أمره اذا رأى الصورة ؟ ٠٠ وأحسّت بالقبضة  
تمسك قلبها ٠٠ وسمعتة يقول باسمًا :

« يا لالا يا هند قرّبي، أنا متّ من الجوع ! » ٠٠

وأعاد لها صوته العميق الحنون ثقتها فيه ٠٠ إنّه لن يخذلها  
٠٠ هذا الرجل لا يمكن أن يفصلها عنه آلاف الناس تتراصّ  
بينه وبينها، فما بالها بقطعة من الورق الصغير مطبوع عليها  
رسومات ٠ أيّ رسومات ٠٠

وعاد اليها وهدوؤها كاملاً فأكلت ، وشربت البيرة، واستلقت  
بجوار زوجها على الرمل وطال بينهما الحديث كما يطول دائماً ٠٠  
وفي صباح اليوم التالي كانت قد نسيت تماماً الرجل  
والصورة لولا أنّها لمحت زوجها مقبلاً عليها من بعيد ممسكاً بيد  
رجل طويل ما أن تبيّنته حتّى عادت القبضة الى قلبها تعصره  
بشدّة ٠٠ ونهضت من رقدتها على الرمل وجلست متحفّزة  
تستعدّ لمواجهة الأمر وتستجمع قواها الهاربة في أركان نفسها  
٠٠ ووصل زوجها وجلس بجوارها بينما ظلّ الرجل واقفاً ٠٠  
ورأت هند الصورة في يد زوجها فارتعدت وبلعت أنفاسها  
لتبدو هادئة ونظرت الى زوجها ٠٠ الى عينيه ويديه لتطمئن على  
حبّه لها وثقته فيها ٠٠ كان كما هو هادئاً باسمًا لم تتغيّر  
ملامحه الا من معنى لطيف ساخر ٠٠

ووضع حسين الصورة في جيب قميصه بتأنٍ، ونظر الى  
زوجته وهو يبتسم قائلاً : « تصوّري يا هند المجدع يشيني  
آخر البلّاج عشان يوريني صورة » ونظر الى الرجل نظرة

ساخرة عميقة واثقة وقال له : « حد قالك اني غاوي صور ٠٠؟  
 هي صورة لطيفة فعلا لأن فيها هند لكن انت تعبت نفسك ٠٠ »  
 وسكت حسين ووضع يده على جيبه وربت على الصورة  
 برفق وحنان وقال له : « خلاص يا سيدي الصورة وصلت  
 مكانها ٠٠ تقدر تروح ٠٠ »

وبعدما اختفى الشاب من أمامهما نظرت هند الى زوجها في  
 دهشة ٠٠ فرأت عينييه الباسميتين في عينيها وأحسنت يديه  
 الحبيبتين اللواتقتين على يديها وسمعت صوته الدافئ الحنون  
 يقول لها : « أما مغفل صحيح » ايه يعنى صورة ٠٠ وحتى لو  
 كان فيه حاجة انت عارفة اني لا يمكن أحاسبك على حاجة قبل  
 ما تعرفيني ٠٠ »

ونظرت هند في عينييه ودموع الفرح في عينيها ٠٠ إنها لم  
 تخطئ حينما عرفت من أول وهلة أنه فتى أحلامها ٠٠ إنه  
 رجلها الذي يذق في نفسه وفيها ٠٠ رجلها الوحيد الذي  
 استطاع بقوة الناضجة الواعية أن يمسّ وجدانها ويهزّ  
 أنوثتها ٠٠

وابتسمت وهي تقول : « دى كانت مجرد مقابلات على  
 البلاج » .

فقال وعلى جبهته تكمشيرة وفي عينييه ابتسامة : « كانت  
 شقاوة يعنى ٠٠١ »

وردّت بسرعة : « شقاوة ببراءة ٠٠ »  
 واقترب منها وقبّل كتفها في حنان وهو يهمس في أذنها :  
 « أنا عارف يا هند ايه ٠٠ » ثم نظر في عينيها وهو يسألها  
 باسم ككل مرة : « والا ايه ؟ » وهو يعرف أنها ان تنسى أن  
 تقول له : « ايه » وفعلًا كان ٠ وضحكا معاً للمرّة الألف على  
 النكتة ٠٠ حتى في هذه المواقف الخطيرة لا تنسى هي هذه  
 النكتة الصغيرة .

## الدوسيه الضائع

دقت الساعة التاسعة صباحاً حينما كان الدكتور خالد يسير في الممر الطويل الضيق المظلم الذي يقود الى حجرة الأرشيف وبين شفتيه سيجارة لم يشعلها بعد ، وفي نظراته كآبة حبيسة لم تجد طريقاً الى الانطلاق . .

وأخرج من جيبه علبة الكبريت وأشعل السيجارة ثم ألقى بعود الكبريت على الأرض الاسفلت، وهو يلعن هذا الممر المظلم الكئيب الذي قاده اليه الحظ السيئ. . . منذ ثلاثة شهور ، يأتي صباح كل يوم ، ويتحسّس بقدميه درجات السلم المتهدمة حتى يصل الى الممر الضيق الطويل كأنه سرداب في بطن الأرض ، ويرى « الدولاب » المعدني الذي يرتكن على الحائط اليميني ، والنضد الخشبي الذي وضع الى اليسار ، ثم الباب المغلق الى اليسار أيضاً ، ولا يعرف لماذا هو مغلق وإلى أي سرداب يقود . . وأخيراً يأتي الباب المفتوح عن اليمين وعليه لوحة نحاسية صغيرة كتب عليها « الأرشيف » .

وتنهّد الدكتور خالد وهو يدخل من الباب الصغير الى حجرة مظلمة رطبة ، يبتلع نصف مساحتها تقريباً دولاب خشبي كبير له أرفف كثيرة تختفي تحت عدد لا يحصى من الدوسيهات ، ويشغل النصف الآخر مكتب خشبي كبير ، أسود اللون ، ينوء

نحت أكوام من اندوسيهات . ومن خلف هذه الأكوام يظهر رأس محفوظ افندي موظف الأرشيف بنظاره السميكة البيضاء وشعره الأبيض . يرتكن على جسد نحيل يفرق في بدلة واسعة قديمة كأنها صُنعت له منذ عشرين أو ثلاثين عاما حينما كان شاباً ممثلياً الجسد لم تنحل وبره السنون بعد .

وكان محفوظ افندي كعادته يكتب شيئاً حينما دخل الدتور خالد . . انقصت ثلاثة شهور بأكملها والدكتور خالد يأتي الى هذه الحجرة صباح كل يوم ولا يرى محفوظ افندي الا وهو جالس يكتب ونظارته البيضاء السميكة تتدلى على اربعة أنفه فيخيل إليك في تلك اللحظة أنه لا يرى شيئاً إلا أنفه ، لكنه حينما يرفع رأسه ويبرش بعينه في الفضاء ثم يقول بصوته الرفيع: أهلا دكتور خالد اتفضل . تعرف في هذا الوقت أنه قد يرى شيئاً آخر .

وجلس الدكتور خالد كما تعود ان يجلس على الكرسي الخشبي الوحيد في الحجرة ، باستثناء كرسي محفوظ افندي بالطبع إذ له ثلاثة أرجل فقط تركه محفوظ افندي جانباً لمن تسوقه المقادير لينزل ضيفاً عليه .

واسند الدكتور خالد الكرسي الى الحائط وجلس عليه بهيئة اكتسبها بعد خبرة ثلاثة أشهر، وقال لمحفوظ افندي جملته التقليدية : « صباح الخير يا محفوظ افندي ، خير ان شاء الله ، ياترى لقيت الدوسيه ؟ » وتلملم محفوظ افندي في كرسيه وهو يفرق يديه وقال بصوته الرفيع : ابدأ والله يادكتور خالد ، انا مش عارف الدوسيه ده راح فين ، كل يوم أفرز الدوسيهات اللي سيادتك شايفها دي والي في الدولاب الكبير ده والدوسيه بتاعك مش ناين ابدأ ، حاجة غريبة . زى مايكون عفريت خده ، بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . وأخرج محفوظ افندي مسبحة صفراء من أحد ادراج مكتبه ، وأخذ يبسم على كل حبة من حباتها ويصلي على النبي ، ثم انتهى منها بعد



دقائق وأعادها في خسوع الى الدرج ، والتفت الى الدكتور خالد وقال : « أنا رأيي يا بيه انك تيجي هنا بكره يمكن ربنا يكون سهّل واعتر على الدوسيه منا والا هنا »

وقال الدكتور خالد وهو ينفث دخان سيجارته في آسى :  
« لا بكره ولا بعده ، خلاص مافيش فايده »

واحتزّت نظارة محفوظ افندي وهو يفعل قائلًا : « لا يا بيه ماتقولش كده مافيش حاجة بعيدة على ربنا أبدا ٠٠ ربنا قادر على كل شيء ، مين يعرف بكره تيجي تلاقي الدوسيه ظهر فجأة كده على وش الدوسيهات ، الإنسان لازم مايفقدش الأمل في ربنا بسرعة كده يادكتور » .

وقال الدكتور خالد وهو ينفخ : « بسرعة ؟! يا شيخ حرام عليك ، مش مكفيك ثلاثة أشهر باجي هنا كلّ يوم ٠٠ ثم ان ربنا ماله يا أخي » ؟

وكانما أطلق الدكتور مقدوفاً نارياً في وجه محفوظ افندي او فجّر في جسده قبيلة يدويه فانتفض محفوظ افندي على كرسيه وارتحّ جسده النحيل داخل البدلة الواسعة وقال : « أستغفر الله العظيم ، أستغفر الله العظيم ٠٠٠ »

ثم التفت الى الدكتور خالد وقال في عتاب ولوم شديدتين :  
« ربنا ماله ؟! بقي ده كلام تقوله يادكتور » ؟  
وانفجر الدكتور خالد غاضباً :

« هو أنا قلت حاجة على ربنا يا أخينا ؟ أنا ماكفرنش والله الحمد وإن كانت المصيبة دى تكفر الى عمر ماكفر »

وقال محفوظ أفندي في بلادة : « مصيبة ايه كفى الله الشر ؟ وشّد الدكتور خالد شعر رأسه وصاح قائلًا : « بقه انت لسه مش عارف مصيبة ايه ؟ مصيبتى ! مصيبة الدوسيه ٠ الدوسيه الى لا بس طاقية الاخفاء مصيبة البعثة الى حتروح منى ! » .

وبربش محفوظ ببقايا عينييه المتاكلتين من وراء الزجاج السميك وقال : « بعثة ايه يادكتور ؟ » ويردّ الدكتور خالد :

« بعثة أمريكا عشان آخذ الدكتوراه »  
واندهش محفوظ افندي ، واتسعت المسافة الرفيعة الضيقة  
بين جفنيه وقال : « تاخذ الدكتوراه ؟! هو انت لسه ماخذتهاش ؟  
أمال اسمك الدكتور خالد ليه ؟ »  
وهز الدكتور خالد يديه فى زهق وقال : « لاده موضوع  
شرحه يطول ، المهم ان ضياع الدوسيه ح يضيع علي البعثة » .  
وقال محفوظ افندي في غياب : « ليه يابنه ؟ »  
ووقف الدكتور خالد وقد نفذ صبره وقال : « أوف اربنا  
يطولك ياروح ! »  
تلقت حواليه فى حيرة وقال يخاطب نفسه « وبعدين الدوسيه  
ضاع ! مش معقول ! والبعثة آخ ياني ! »  
ونظر الى محفوظ افندي يحاول أن يفتش فى جزء منه عن قيس  
من الأمل فى العثور على الدوسيه ، لكنه وجده وقد انكفا على  
الشيء الذى يكتبه دائماً ونظارته السميكة متدلّية على أذنه وكأنه  
نسي وجوده تماماً . . . .  
وخطرت للدكتور خالد فكرة وهو واقف هكذا ، فانتعشت  
روحه بعض الشيء ، وخلع سترته ووضعها على الكرسي الخشبي  
وشمر عن ساعديه وبدأ يفرز بنفسه الدوسيهات واحداً واحداً ،  
ومحفوظ افندي غائب عن العالم فى الشيء الذى يكتبه . .  
وانقضت ساعات والدكتور منهمك فى البحث حتى تصبّب  
منه العرق وسعر بالم فى أصابع يديه ، لكنه كان متحمساً يعمل  
بأمل جديد أنقذه من الشعور الكئيب باليأس . . . وانتهى من  
الدوسيهات التى فوق المكتب فانتقل الى الدوسيهات المترصّة  
فى الدولاب وأعمل فيها البحث والتفتيش .  
ولم يجد شيئاً . . وعاد متعباً يائساً ولبس سترته وجلس  
على الكرسي بعد أن أسنده الى الحائط ونظر فى أسى الى محفوظ  
افندي وقال : « حاجة تطير العقل الدوسيه بتاعي مش هنا ! »  
وتهلّل وجه محفوظ افندي وقال : « عشان تعرف إني ماكدبش

أبداً ، وأنا عارف شغلي كويس خالص ، وحافظ الارشيف ده ورقه ورقه ، ده أنا بقى لى خمسة وثلاثين سنة فى الشغلة دى يادكتور ٠٠ » وأطرق الدكتور خالد فى حيرة وأسى ، ونظر محفوظ أفندي الى النافذة ثم صاح : « ياه ! ده الشمس راحت من فوق الحيطه الى جنبنا . »

ونظر الدكتور فى ساعته ثم قال : « اتنين ونص ٠٠ » وشدده محفوظ أفندي نفسه من فوق الكرسي بصعوبة وقال وهو يتأوه : آه ياكعبى الشمال ٠٠ شوف يادكتور أنا اديت

الحكومة نص ساعة زيادة من وقتى ٠٠ لكن معلش أنا مش بادق ، ربنا قال اعمل الخير وارميه البحر ٠٠٠ آه ياكعبى الشمال ! الرومانزم يادكتور تابعنى خالص ، اعمل له ايه بس ؟ »

ونظر الدكتور الى كعب محفوظ أفندي فى حركة آلية يفعلها أي طبيب حينما يتأوه الى جانبه مريض ويشكو من جزء فى جسمه ٠٠٠ ورأى الدكتور شيئاً على الأرض ! ولم يصدق عينيه أول الامر ٠٠ فاعمض عينيه وفتحهما ثم أعاد النظر مرة ومرة وثلاثاً ٠٠٠ ولم يشعر إلا وهو يقفز من فوق كرسيه كالمجنون وصاح فى وجهه محفوظ أفندي قائلاً : ايه ده ؟

ونظر اليه محفوظ أفندي فى تعجب وقال فى بلادة : « كعبى » وقال الدكتور : « ايه الي تحت كعبك ده ؟ » وقال محفوظ أفندي وهو يأخذ مسبحته من الدرج ويفلق أدرج مكتبه :

« ولا حاجة ٠٠ دول شوية دوسيهات حطيتهم تحت كعبى يحوشوا عنى رطوبة البلاء ٠ »

وأخرج الدكتور الدوسيهات من تحت المكتب وفرزها بسرعة ثم تهلل وجهه فجأة وهو يمسك بأحد الدوسيهات وصاح : « آهه ! الدوسيه بتاعى ياراجل يامجنون ! بقى تدوخني ثلاث شهور

والدوسيه بتاعى تحت رجلك ! مستقبلى كله تحت رجلك ! اما  
معتوه صحيح !»

وبربش محفوظ افندي من تحت نظارته السميكه وقال فى  
برود : « اسكت يادكتور اسكت ده ربنا ٠ »  
وقال الدكتور فى دهشة : « ايه ؟ ربنا قالك تحط الدوسيهات  
تحت رجلك ٠٠ »

وحرك محفوظ افندي حبات مسبحته فى خشوع وقال : « لا  
يادكتور ، ده ربنا زى ما قلت لك قادر على كل شيء ، مش قلت  
لك إن ربنا يمكن يظهره كده فجأة على وش الدوسيهات ٠٠٠  
ياسلام ياما انت كريم بارب ٠٠ »

## وماء الحب

كنت أجلس على حافة السرير بجواره ، وهو نائم .. عيناه  
مغمضتان .. عيناه الحببتان اللتان كنت أنظر فيهما فتشرق  
الدنيا في عيني .. عيناه السوداوان يكسو بياضهما دائماً  
حمرة خفيفة تصفي على نظراته قوة ، وصدق عاطفة .. وملامحه  
كلها نائمة غائبة في ملكوت آخر ..

ومددت يدي في رهبة ، وتحسست جبينه .. وسرت في  
جسمي قشعريرة باردة .. والتقلت أصابعي في غير وعي  
تتحسس خدي ، وأنفه ، وشفتيه وجفنيه .. ولم أدر كيف  
اشتفت لأن أنظر في عينيه .. لأن أرى ولو لمرة واحدة سواد  
عينيه الحبيب الذي كنت أنظر فيه فأرى الدنيا بأسرها تشرق  
وتبتهج .. ووجدت أصابعي تفتح الجفنين في تهيب .. وانحسر  
الجفن عن عينيه .. ورأيت سوادهما نائماً غائماً .. ليست  
فيه حياة .. وليست فيه دنيا تشرق .. وليس فيه أي شيء ..  
سواد ميت غارق في بياض ميت .. شيء كروي أسود !  
جماد ! ..

لا ، لا ، لا .. وانطلقت مني صرخة لم يسمعها أحد الا  
أعماقي الحزينة المفجوعة .. وتركت أصابعي جفنيه فأنزلنا على

عينيه كالستائر تخفيهما عني ، وكانما أشفقا عليّ من التحديق  
فيهما ...

وانتفضت .. إنّ عقلي يأبى أن يفبل هذا الواقع الشاذ الذي  
يشبه الخيال .. لقد كان أبي منذ دقائق يملاّ هذا البيت  
نشاطاً ، ومرحاً ، وحياة ! .. لقد كانت عيناه .. عيناه ..  
هاتان ! .. تتألقان بهريق يعكس الدنيا بكلّ صورها .. كيف؟  
.. كيف تخدم هذه الحياة فجأة ؟ .. كيف تنطفئ هاتان  
العينان ، وتصبحان قطعتين كرويتين من جماد ؟ أهذا هو الذي  
يسبّيه الناس موتاً ؟ ..

وأحسست بدموع ساخنه تجري على وجهي .. ورأيت وجه  
أبي يشحب عما كان ، وأتخذت ملامحه شكلاً رصيناً رهيباً ..  
كانها ملامح تمثال نحت من الجرانيت .. وأمسكت وجهه البارد  
في يدي ، وقرّبت شفطيّ من بشرته ، وقبّلته ، وهيمست في  
أذنه ، « أبي .. أين أنت ؟ هل تسمعي ؟ » إنني أحبّك ، ..  
وشعرت براحة بعض الشيء .. كان كلماتي من صددتها ،  
وحرارتها ، أذابت جليد الموت ، وبعثت في أذنيه الحياة فسمعني  
.. وابتنست وعانقته .. وأخذت أحتسّس جيوبه ، وكان  
لا يزال بالمنامة الجديدة التي اشتراها بالامس .. ووضعت يدي  
في جيب الساعة العلوي فوجدت نظارته ، وقلمه ، وعلبة  
سجائره .. وخفق قلبي من الدهشة .. هذه الأشياء ! ..  
أشياءه ! .. تؤكد لي أنّه لم يمت لأنها تعيش في جيبه حية  
تنتظره ! .. وتأملت نظارته .. وخيل إليّ أن فيها حياة .. أنّ  
فيها عينيه تنظران .. ونظرت الى قلمه الحبر .. ورأيت أصابعه  
تلتفّ حوله تكتب .. وارتعشت أصابعي ، وأنا أعيد هذه  
الأشياء الى مكانها في جيبه .. وأزحت الملاء عنه قليلاً لأبحث  
عن يديه .. وأمسكت أصابعه بأصابعي .. آه ! .. وأمسكت  
يده بكلتا يديّ ، ووضعت وجهي في راحته الكبيرة ، وبكيت ..

ولم أدر إلاّ بيد على كتفى .. فوقفت .. وغطيت أبى بالملاءة  
حتى وجهه ، وأغلقت عليه الحجره .. لا أريد أن يرى أبى أحد  
وهو راقد شاحب ضعيف .. إنَّ الضعف عورة .. ولا أريد  
أن يرى أحد عورة أبى .. أبى الرجل القوي .. العملاق ..  
الذي علمني كيف أمشي ، وكيف أتكلّم ، وكيف أحبّ .. كنت  
أجلس الى جواره كلّ ليلة وأستمع الى حديثه العذب ، وهو  
يشرح لي كلّ شيء .. حتى الحبّ .. وكان بطبيعته فتاناً يعشق  
الفنّ .. وفي ليلة سألته : «ماذا تفعل يا أبى لو عرفت أنّي  
أحبّ » .. وكان يجلس بجوار المدفأة ، فنظر إليّ مدقّقاً ثم قال :  
« لا شيء » المهمّ أن يكون إنساناً يستحقّ هذا الحبّ ..  
وسألته : « وكيف أعرف أنّه يستحقّ ؟ »  
قال : « مادمت لا تعرفين فهو لا يستحقّ ؟ »

وسمعت في البيت ضجّة ، وصخباً .. ورايت أناساً  
كثيرين ، رأيتهم من قبل ، يلبسون السواد ، ويروحون ،  
ويجيئون لا أدري لِمَ ؟ .. وبعد وقت لم أعرف مداه رأيت  
الرجال يحملون أبى في صندوق خشبيّ ، ونزلوا به الى الشارع  
.. وانطلقت العربّة .. وكنت أجلس في العربّة نفسها بجوار  
الصندوق .. ولم أكن أبكي .. لكنّ شيئاً ثقيلاً كان جائماً على  
صدري يقبض على قلبي بيد من حديد .. ونظرت من نافذة  
العربة الى الطريق فوجدت الحياة على أشدها .. الناس يجرّون ،  
والعربات تتسابق ، والشوارع كلّها مليئة بالصخب والسعي  
والكفاح .. وتراخت اليد الحديدية عن قلبي بعض الشيء ،  
وجذبت نفساً عميقاً من هواء الشارع .. ثم نظرت داخل العربّة  
فوجدت صندوق الموت ، يحمل أبى .. فعادت اليد الحديدية  
تقبض على قلبي من جديد ..

وسارت عربّة الموت وسط عربات الحياة السريعة .. وأنا  
أجلس داخلها أجترّ آلامي وأحزاني .. وأخيراً وصلنا .. وأنزل

الرجال صندوق أبي ووضعوه على الأرض . ثم فتحوه وحملت  
داخل الصندوق لأرى أبي . وخفق قلبى خفقة عنيفة كأنه  
يفرغ بها كل دمه . ورأيت أبي ملفوفاً فى أقمشة بيضاء لا  
تظهر منه شيئاً . وحملوه . وأدخلوه فى حفرة صغيرة ، ثم  
أهالوا عليه التراب . وتلفتت حولى فى ذعر . . كان الدنيا قد  
خوت وأفقرت . . أو كان ريحاً عاتية أقبلت واقتلعت أبي ،  
فأصبحت أنا فى مهبّ الريح أنتظر دوري . . رأيت الرجال  
ينفضون عن ملابسهم . وأيديهم ، التراب فى آلية غريبة ،  
وكانهم مرغوا من رجة غذاء عادية ، ولم يواروا الترى إنساناً  
كان هو بصري وسمعي وحياتي . .

وبقيت وحدي كالمدھولة أحملق فى الحفرة الصغيرة التي  
ابتلعت أبي . . اهكذا ١٤ . . اهكذا ينتهي الإنسان ١٤ . اهكذا  
ينتهي أبي . . الرجل القوي الجبار الذي كنت أنظر اليه كعملاق  
تطاول هامته السماء ١٤ . . اهكذا ينتهي به المطاف الى أن يرقد  
فى حفرة من التراب ١٤ . . .

لا . . لا . . صرخت من أعماقي فى ثورة ، واندفعت  
الى مكان الحفرة . وأخذت أنبش بأصابعى فى عصبية تشسبه  
الجنون . . لا . . إني لا أقبل هذا ! إنها نهاية قاسية ! لا أقبلها  
أبداً . . سأتحداها . . سأنبش حتى أفتح هذه الحفرة . وأخرج  
أبي منها ! وأحسست بثورة فى أعماقي تندلع وتضطرم . .  
ثورة على الحياة . . وثورة على الموت . . وثورة على . .

وأفقت على يد تسحبني ، وصوت يقول لى : « هيا بنا نعد »  
وعدت مع اليد التي سحبتنى أنظر الى الحياة شزراً . . وأنظر  
الى الناس شزراً . . وأسخر فى أعماقي من جريهم ، وحاسهم ،  
وأقول لهم فى نفسي : « كفى . . كفى . . كفاكم جهلاً وجرياً . .  
ألا تعلمون ما نهايتكم ؟ » حفرة فى التراب . . تراب يهال  
عليكم . . تراب فى تراب ! . . .

ولم ألبس السواد . . كان موت أبي . . بل . . مشكلة الموت



نفسها تشغل تفكيري كله حتى أنني كنت أضع ملاسي على  
جسمي بلا وعي . ولا أكاد أعرف لون الرداء الذي ارتديه ..  
وجاءني صوته في التليفون حزينا ، معزياً ، مخففاً ..  
والحقيقة أن هزة الموت أنستني هذا الصوت فترة .. لكنني  
رغم ذلك كنت أنتظره .. كنت أتلصص شيئاً قوياً من الحياة  
يعيدني إليها .. شيئاً عنيفاً يهزني فتسقط عني ، بعض الشيء ،  
غشاوة الموت القائمة .. وما من شيء يستطيع أن يفعل ذلك إلا  
الحب ..

وقلت له وأنا أتمسك ببهايا حماس في قلبي : « أريد أن  
أراك » ، قلتها ببساطة .. وكانت المرة الأولى التي أقول له  
فيها أريد أن أراك .. كنت أشعر أحياناً برغبة في النطق بها ،  
لكن شيئاً ما في أعماقي يمنعني ، فأقول شيئاً غيرها ، أو  
عكسها ، أو لا أقول شيئاً على الإطلاق .. لكنني بعد أن شهدت  
الموت رأيت الحياة أبسط وأثقل من أن أكتب في صدري كلمة أريد  
أن أنطق بها ..

ودعاني الى بيته .. وترددت قليلاً ، ثم وافقت .. ولبست  
ملاسي بأهمال زاد بعد موت أبي عما عهدته في نفسي .. ولم  
أضع على وجهي أية مساحيق .. ونظرت الى عينيّ طويلاً في  
المرآة وقلت لنفسى : « ليس في الحياة شيء يبعث على الذعر حتى  
ذهابي الى بيته ! » ..

ووصلت الى بيته دون مشقة كبيرة .. وفتح لي الباب ..  
ورأيت لأول مرة بعد موت أبي .. ولا أدري تماماً ماذا كان وقع  
منظره عليّ وهو في بيته .. هل ضاع هيبته الجميلة التي  
كنت أهواها فيه ، أم أن موت أبي أضاع هيبته الحياة بكل ما فيها  
حتى هو ! ..

وقال بعد أن تكلمنا قليلاً : « لم أرك فائزة كالיום » .

وقلت : « لقد جعل الموت الحياة باهتة في عيني » .

فقال : « بالعكس . إن الموت يجعل الحياة في عينيّ زاهية .

تصوري لو أننا نعيش الى الأبد • كيف تكون هناك حياة اذا لم يكن هناك موت ؟ • وعلى كلّ فإنّ الموت مصيره الى الموت كما قال طاغور • •

واقترب منّي قليلاً وقال : « لم أكن أتصوّر أن شيئاً ما في العالم يستطيع أن يغرس الحزن في عينيك • • لم يكن التشاؤم أحد صفاتك • • »

قلت : « بل إنّ التشاؤم أحد صفاتي • • ولا أدري لماذا يثير الرجل حزن المرأة • • لعلّه يرى فيه نوعاً من الضعف أو الأنوثة • • ورايته يقترب منّي أكثر • • وياخذ بيدي في يديه ، ويقبلها • • وهمس قائلاً : « أحبك » • • وكأنني لم أسمع كلمته • • ولم أحسّ قبلته • • فلم تهتزّ خلية واحدة في جسمي • • وشعرت بالصقيع يحوطني من داخلي ، وخارجي • • ولم أجد في نفسي شيئاً من الحرارة حتّى لأسحب يدي من يده • • كان عقلي قد تجمّد عند فكرة الموت ، ووقف عندها ينظر الى الحياة شزراً ، ويرى كلّ ما فيها تافهاً حتّى الحبّ • • فلا هو يعارض ، ولا هو يحبّ • • يستسلم لما يحدث في سلبية مطلقة تشبه الموت • •

ورأيته يبتعد عني ثم يقول : « أنت لا تحبينني »  
وقلت : « إنّ الموت • • وقاطعني قائلاً : « لا • • لا تقولي الموت • • الموت لا يغيّر شيئاً من الحبّ • • »

وسكت • • ورحت أفكّر وأبحث في زوايا نفسي عن حبّي له لكنّي لم أجد شيئاً • • كأنما تبخّر حتى آخر قطرة • • وقلت في عجب : يا إلهي إنّ الموت أقوى من الحبّ • • وسمعتّه يقول : « بل الحبّ أقوى من الموت • • اذا كان حبّاً حقيقياً ، أما اذا كان وهماً فإنّه يبهت ويتلاشى بجوار لون قويّ صارخ كلون الموت » وودّعني وهو يقول : أرجو أن تقابلي حبّك الحقيقي يوماً ما لتصدّقني كلامي • • لم أصدقه في ذلك اليوم • • لكنّي أحسست بشعور خفيّ ينبئني بأنني سأصدقه يوماً ما • •



## سوسن

كانت تشبّ على أطراف أصابعها لتطلّ برأسها الصغير من فوق جدار الشرفة المينيّ بالطوب الأحمر ، واستطاعت بعد محاولات كثيرة أن ترى العربة الصغيرة الزرقاء وهي واقفة أمام الباب تحت الشرفة تهتزّ وتنتفض وتصدر عنها أصوات لا تعرف مصدرها تشبه « الشخصخة » التي تسمعها وهي تتفرّج على المركب الصغيرة تسبح في حوض الماء .. تلك اللعبة الجميلة التي أحضرتها لها أمّها منذ أيام في عيد ميلادها الرابع ..

وشبّت على أطراف أصابعها أكثر وأكثر حتى استطاعت أن تدلي رأسها من الشرفة لترى العربة الزرقاء وهي تنطلق بسرعة في الشارع القصير ثم تنحني إلى اليسار وتختفي .. وأسندت ذقنها الصغير على حائط الشرفة والدموع تنهمر من عينيها الصغيرتين ، ونظراتها الزائفة اليائسة تتعلّق بنهاية الشارع الذي ابتلع العربة لا تدري إلى أين ، وقلبها الطفل يدقّ دقّاً سريعاً متواصلاً وقد اجتاحه شعور بالخوف والفقْدان ، وأنّ تلك القوة التي ترعاه وتحبّه قد ركبت العربة واختفت في نهاية الشارع . ونادت بصوتها الرفيع الباكي : « ماما .. ماما .. » ، وظلّت نظراتها اليائسة ترقب نهاية الطريق ، وقد صوّرها أمل ضعيف أنّ العربة الزرقاء ستعود منه فجأة .

ولكنّ العربى لم تعد ٠٠ وبعت نهاية الشارع خاوية مقفرة  
كخربة مهجورة ، ولم تعرف أى وقت مضى وهي واقفة متكئة  
بدقنها ويديها على الحائط حتى جفت الدموع على خديها وكفت عن  
نداء أمها ، وأغمضت عينيها وراحت في النوم .

وفتحت عينيها بعد فترة فوجدت نفسها في السرير الكبير  
ترتجف من البرد . وقد بللت الفراش وتعرى جسمها الصغير  
بعد أن رفضت عنها الغطاء وهي نائمة كعادة الأطفال . ونهضت  
من السرير مسرعة وخرجت الى الشرفة ونظرت الى نهاية الشارع  
علها تجد العربى الصغيرة مقبلة . ولما لم تجد شيئاً دخلت يائسة  
الى الحجرة وقد بدأت تحسّ بالجوع . ودارت فى حجرات البيت  
الواسعة الخاوية لنبحث عن دادة فاطمة . ووجدتها . كعادتها  
متكومة حول نفسها على الأريكة في حجرة النوم المهجورة في  
أقصى البيت ، والتي ليس بها إلا سرير قديم تنام عليه دادة  
فاطمة وبعض الأثاث العتيق الذى استغنت عنه الأسرة .

— جوعتي يا حبيبتي ؟ ٠٠ ده انت من الصبح ماكلتيش . .  
ياضنايا ! ٠٠ تاكلى ايه ؟ أجيب لك شوية رزّ وفاصوليا ولحمة ؟

وفكّت قدميها ويديها وفردت جسمها النحيل اليابس ، وقامت  
فى تكاسل وهي تقول لنفسها : « أنا عارفه قلب أمك ده ايه !  
حجر ! ٠٠ ياقلبها ياختي تهون عليها بنتها كده اء ٠٠ ومسحت  
بكفها دمة سالت على خدّها فقد تذكّرت ابنتها الطفلة أيضا .  
وقد تركتها فى البلدة مع أبيها المشلول وجاءت هي الى القاهرة  
لتشتغل وتعملها . وقالت لنفسها : طيبّ أنا سايبها عشان  
أأكلها وشربها . لكن دي سايبه بنتها ليه ؟ عشان الراجل !  
٠٠ أخص عليها . ٠٠ راجل ايه وهمّ ايه ! هو فيه بعد الضنى  
حاجة ! ٠٠ »

وجلست سوسن على المائدة ترقب دادة فاطمة وهي تروح  
وتجىء وتضع الأطباق أمامها . ٠٠ وتأملت أصابعها الغليظة الجافة

وهي تمسك بالأطباق فتذكرت أمها بأصابعها الرفيعة الرقيقة  
وهي تعدّ لها الطعام في بيتها ٠٠  
• هي ماما بتروح فين يادادة ؟  
- بتروح المدرسة يا حبيبتي عشان تدرس للأطفال وتعلمهم  
الحساب •  
• أنا عاوزة أروح معاهم المدرسة ،  
- لما تكبري يا حبيبتي شويه كمان تروحي المدرسة •  
• وهي ماما بتبات فين ؟ ٠٠ في المدرسة ؟ •  
- أيوه في المدرسة •

وتنهت دادة فاطمة ، ومسحت عينيها بكمّها ، ثم جرّت هيكلها  
النحيل وذهبت الى حجرتها ٠٠ وجلست سوسن تاكل وحدها  
ثم تذكرت المركب فقفزت من فوق كرسيها وذهبت الى صوانها  
الصغير وأخرجت منه المركب وملأت الحوض بالماء ، وجلست  
تنفّج على المركب وهي تسبح في الماء وتحدث شخصخة غريبة  
تشبه الصوت التي تحدثه عربة أمها الصغيرة حينما تهتزّ وتتحرك  
وتأخذ أمها وتجري في الشارع ثم تختفي ٠٠  
وضاع رونق المركب في عينيها ، وفقدت اللعبة لذتها فامسكتها  
بيدها وأغرقتها في الماء ، ثم جرّت الى الشرفة لتتنظر الى الشارع  
علها تجد عربة أمها قادمة اليها ٠٠ لكنّها لم تجد شيئاً فشبّت  
على أصابعها لتري الشارع أكثر ولعلّ العربة مختبئة هناك تحت  
الشرفة ٠٠ وتبدلت رأسها في الهواء دون أن ترى شيئاً ٠٠  
فعدت الى دادة فاطمة منكسة الرأس تبكي بلا دموع وقالت لها:  
- عاوزة أروح لاما ٠٠ وديني يا دادة لاما •  
- يا قلب أمك يا حبيبتي  
ومنت دادة فاطمة يديها المعروقتين وأخذت الطفلة بين ذراعيها  
وربتت عليها •

- يا ضنايا أوديكي لاما ٠٠ حاضر أوديكي لاما •  
وقامت من جلستها ولبست رداها الاسود الذي تلبسه عند

امزوج ، وقالت لنفسها في ثورة : « حوِّديها لأُمها .. بلا وجع قلب ! تشوفلها طريقة في بنتها .. هو أنا حاقمعد لهم ! .. هو أنا ما عنديش قلب ! .. آمال لو ما كنتش مدرّسة قَد الدنيا ولها ماهية تغنيها عن أي راجل كانت عملت إيه ؟ »

وكادت سوسن تجنّ من الفرح وهي تمنسك بيد دادة فاطمة وتمشي في الشارع ، وراحت تتلقت هنا وهناك وتنظر في كل عربة خلفها علّا تجد أمّها .. وأخيراً رأت دادة فاطمة تتوقّف أمام بيت وتدقّ الجرس .. وخفق قلبها الصغير حين فُتح الباب ورأت أمامها رجلاً طويلاً ، هو نفس الرجل الذي تراه يجلس بجوار أمّها في العربة .. وتكرهه .. وتخاف منه .. وتحسّ أنّه بأنفه الطويل المقوّس كالغراب الكبير أو الحداة التي خطفت ذات يوم كتكوتاً من فوق السطح .

ووقف الرجل الطويل في فتحة الباب يسدّها والطفلة تنظر اليه وقد تراجعت الى الوراء قليلاً .. ودادة فاطمة أيضاً ربّما شعرت بما شعرت به الطفلة فوقفت كالتمثال لا هي تدخل ولا هي تعود من حيث أنت .. ولوخيّرت بين الاثنين لعادت من حيث أنت ، فقد بدا لها الرجل غريباً عنها وعن الطفلة ، والبيت ليس لها فيه مكان ..

ونظرت الى سوسن كأنها تستشيرها الرأي ، لكنّ سوسن لم تنزحزح عن رأيها ، ووقفت تنظر من الشقّ الصغير من الباب الذي بقي دون أن يسدّه جسد العملاق الواقف أمامها .. ووقفت تنظر من خلال ذلك الفلق علّا ترى أمّها .. أو لعلّ أمّها تراها فتأخذها إليها .. لكن أمّها لم تظهر .. وسمعت صوت الرجل الأجشّ يقول : « روحية لسه ماجتش من المدرسة »

وقالت دادة فاطمة في تخاذل : « طيّب نستناها »  
ودخلت سوسن ووراءها دادة فاطمة ، وفتّح لهما الرجل حجرة الضيوف .

وجلست الطفلة تنلّلت حولها في الحجرة وتنظر الى الصبور

المعلقة بالحائط .. ورأت أمها فى إحدى الصور فقامت مسرعة  
الى الصورة وقالت :  
- دادة .. ماما أهه ! ..

وضحكت سوسن فى سعادة وكأنها ترى أمها حقيقة ، لكنها  
مالبت أن عادت منكسرة بجوار دادة فاطمة وقد تبينت أنها  
ليست صورة أمها وحدها ، وإنما يقف الى جوارها ذلك الرجل  
الطويل الذي لا تعرف من ظهوره فجأة في حياتها ..  
وأخيراً سمعت صوت أمها فى البيت فقفزت من الفرح وجرت  
خارج الحجرة وهى تصيح : « ماما جت يادادة ! »  
وأحسّت سوسن بالدفع الذي كانت تحسّه كلما أخذتها أمها  
بين ذراعيها ، ووضعت رأسها على صدر أمها وراحت تربت  
بيديها الصغيرتين على ظهرها ثم قبلت وجهها وخديها وشعرها ،  
وأدخلت أنفها الصغير في شعر أمها وأخذت تشمه وتقبله .  
ومضى الوقت سريعاً جداً .. وافاقت سوسن على صوت دادة  
فاطمة تقول : « ياللا نروح ياسوسن » وسمعت أمها تقول  
لفاطمة : « خي بالك منها كويس فى السكة يا فاطمة ، راع  
العريبات »

وحملت سوسن فى وجه أمها لتفهم السبب الذي من أجله  
توافق أمها على كلام فاطمة ، ولماذا لا تبقى معها فى البيت كما  
كانا دائماً .. وقالت الطفلة والدموع فى عينيها : « لا مش  
عاززه أروح البيت الى هناك .. أنا وزه ماما ! »  
ولجأت الى الصراخ والبكاء ، وتشبّثت بملابس أمها ، ولكتها في  
النهاية لم تجد بداً من الاستسلام ، وأخذت الشيكولاتة الكبيرة  
فى يدها التي أعطتها لها أمها لتكفّ عن البكاء ، وخرجت الى  
الطريق مع دادة فاطمة وهى تشعر بالحزن العميق حتى انها سارت  
الى جوار دادة فاطمة صامتة واجمة ..  
ووصل البيت .. وأسرت سوسن الى سريرها ووضعت  
الشيكولاته تحت الوسادة . ثم أخذت تدور فى حجرات البيت

الواسعة الباردة لتجد شيئا يسليها ، لكنها لم تجد شيئا . .  
الكل لا يحسن بها . والكل مشغول عنها . . وأخيرا ذهب الى  
سريرها وألقت على قطعة الشيكولاتة نظرة يائسة حزينة ووضعت  
رأسها على الوسادة ونامت .

وفي الصباح ما ان فتحت عينيها حتى تذكرت أمها ، فوضعت  
يدها تحت الوسادة وتحسست قطعة الشيكولاتة ، وأمسكتها في  
يدها وهي تفكر في سر ذلك الرجل الغريب الذي تعيش معه  
أمها في ذلك البيت البعيد .

وفجأة سمعت صوت عربة فقفزت من السرير وجرت الى  
الشرفة ، وشبت على أطراف أصابعها ودلت رأسها في الهواء  
لتنظر الى الشارع . . ولم نر عربة أمها الزرقاء وإنما عربة أخرى  
وقفت أمام باب الجيران . . وزاغت نظراتها الحزينة في طبول  
الشارع نفتش عن عربة أمها ، وتعلقت عينها بنهاية الشارع  
التي تبتلع العربة في كل مرة ، وانهمرت الدموع من عينيها  
في ثنية الشارع . . وأخذت تنادي بصوت عالٍ باك : ماما . .  
وهي تنادي نحي أمها : ماما . . ماما ! . . فقد خيل إليها أنها مخبئة  
لعلها تسمعها وتخرج من مخبئها . . ولكن صوتها الرفيع كان  
برن في أنحاء الشارع ثم يعود إليها كما هو . . وأرهفت أذنيها  
لتنصت الى الصدى وقد خيل إليها أن أمها ترد عليها . . ولكنها  
مالبت أن عرفت أن ماتسمعه ليس إلا صوتها نفسه يقول :  
ماما . .

وأسندت سوسن ذقنها الصغير على حافة الشرفة وراحت  
تراقب الطريق وهي شاردة يائسة . .  
وأفاقت بعد قليل على عربة تدخل فجأة من ثنية الطريق . .  
وخفق قلبها . . عربة زرقاء صغيرة ! . . عربة أمها نفسها ! . .  
وصرخت من الفرح وقفزت الى أطراف قدميها لتطل برأسها من  
الشرفة . .

. . . . .



.....

لم تكن إلا لحظة من الزمن خاطفة .. برقت كنصل السيف ثم  
سقطت في الماضي كأي لحظة من لحظات العمر .. لكنها كانت  
لحظة تساوى الزمن ، ضاعت فيها حياة بأكملها ..

.....

.....

وملأ البيت الصراخ والبكاء .. ومن عيون غرقت في بحر  
من الدموع انطلقت نظرات ساخطة هي نظرات دادة فاطمة  
تصوبها الى الأم .. التي جلست كالتمثال لا تبدي حراكاً وكأنها  
قبضت روحها وهي جالسة ، وكان الى جوارها الرجل الطويل  
نفسه ، جالسا ينظر إليها ويحاول من حين الى حين أن يفتصب  
كلمة أو كلمتين يخفف بهما عنها ..

وكان البيت الواسع بعد أن انقطع عنه الصراخ والبكاء  
يفرق في لجة من الصمت الكثيب والناس داخله إما جالسون في  
صمت حزين ، وإما رائحون غادون في الحجرات الكثيرة وكانوا  
يبحثون عن شيء وهم في الواقع لا يبحثون عن شيء ..  
وفجأة مَرَّق السكون صوت حاد كطلقة المدفع .. والتفتوا  
جميعاً في فزع نحو الأم وقد عقد الذهول ألسنتهم .. وراوها  
.. الأم نفسها .. منتصبه على قدميها كالنمرة ، ويدها اليمنى  
ترتفع عالياً في الهواء ثم تسقط في قوة على وجه الرجل الجالس  
بجوارها :

— أخرج برة ! .. أخرج ! .. مش عاوزة أشوفك !  
كان صوتها مجنوناً مبجوحاً ، ويدها طائشتان ترتفعان  
وتهويان على وجه الرجل الذي تراجع الى الوراء في ذهول ألبم  
لسانه ..

والتفت حولها أهل البيت وأبعدوها عنه .. وذهبت دادة  
فاطمة الى الرجل الواقف في ذهول كالتمثال وربتت على كتفه  
وقالت :

- أخرج يا حبيبي أخرج ٠٠

ولم يتزحزح الرجل من مكانه وكأنه ثبت في الأرض  
بمسامير ٠٠ ونظرت إليه دادة فاطمة في دهشة وغيظ وقالت  
له في شدة : ماتحرج بقه ! ٠٠ هو أنت إيه !

ونظروا إليه وهو يجزّ نفسه كالمشلول ويخرج من الباب ،  
ورأوا الأم تجري وتغلق خلفه الباب ثم تستدير إليهم وعلى  
وجهها ابتسامة غريبة تشبه ابتسامة الموتى الشاحبة قبل أن  
تذهب روحهم إلى الأبد ٠٠ ولكن سرعان ما غابت الابتسامة  
ورأوها تنظر كالمجنونة إليهم وتجري إلى الشرفة ٠٠ وجروا  
وراءها مذعورين وجذبوها من ملابسها وأغلقوا عليها إحدى  
الحجرات ٠٠

وجلسوا في صالة البيت واجمبن ٠٠ ومن خلال نسيجها  
المكتوم داخل الحجرة المغلقة سمعوا صوتها وكأنه آت من  
بعيد : يا سامحيني يا سوسن يا حبيبتي ٠٠ سامحيني ! ٠٠

# فـرـاغ

وضعت قدمي على سلّم صغير لأصعد فوق المنضدة الحديدية  
 المغطاة بملاءة حمراء من المشمّع ٠٠ وما أن استويت عليها حتى  
 أحسست بيد قوية خشنة تمسك ذراعي بغير رفق وتربطها  
 برباط من الكاوتشوك ٠٠ ثم تشدّ الرباط بقوة ، وشعرت  
 بالمرحاة في ذراعي انتقل سريعاً الى معدتي وأحسست بطعم  
 شيء غريب في جوفى ٠٠ وفجأة ٠٠ رأيت السماء تكتسي بلون  
 أحمر قاني ، ثم أخذ اللون الأحمر يبهت شيئاً فشيئاً حتى  
 أصبح غلالة حمراء رقيقة تهتزّ مع النسيم الرقيق على نافذة  
 حجرتي ، ووجدتني أجلس وحدي في حجرتي ٠٠ والباب  
 مغلق عليّ ، أجلس على طرف الكرسي وأضغط أصابع يدي في  
 عصبية وانفعال ، وأهزّ رأسي في ضيق وحيرة .  
 لقد مللت ٠٠ مللت كلّ شيء ! لم يعد هناك شيء يثيرني ،  
 يحركني ، يهزّني ! عرفت كلّ شيء ٠٠ ومارست كلّ شيء ٠٠  
 وماذا كانت النتيجة ؟ عدماً ٠٠ لا شيء ! عرفت الكفاح المرير  
 من أجل درهيمات قليلة . وعرفت الرّخاء والكسل والنعيم  
 بلا تعب ، عرفت دموع الألم والحزن ، وجربّت دموع الفرح  
 والنشوة ، عرفت الحبّ والكراهة ٠٠ وجربّت الأصدقاء والأعداء

عرفت الرجال والنساء .. ولعبت مع الأطفال لعبة الثعلب  
فات فات ..

مرت بي سنين كنت أخرج فيها كلّ صباح باكراً قبل أن  
تبرز الشمس لألحق بأول قطار يقلّني الى بني سويف . ولم  
يكن القطار يحمل إلا العمال والمزارعين والموظفين الصغار من  
الدرجة التاسعة فما تحت ، وكانت البراغيث تترك كل هؤلاء  
وتقبل نحوي متبخثرة ، وتتسلق ساقبي .. ثم تبدأ عملها  
اليوميّ كأنها موظف حكوميّ نشط .. وأبدأ أنا في القفز من  
مقعد الى مقعد وقد منعني الحياء والخوف من أن أداغ عن نفسي  
بالطريقة الطبيعية ضدّ هذه الحشرات اللعينة .  
وكان عملي مرهقاً ، أو لعلّه كان الذهاب الى عملي هو  
المرهق .

وانتهت سنوات الفخط هذه كما ينتهي أيّ شيء .. ووجدتني  
فجأة أقوم من فراشي الوثير وأنا اثئاب في استرخاء وكسل  
وأنظر الى عقارب الساعة بنصف عين .. وحينما أجد أنّ  
الساعة لم تبلغ الا التاسعة أعود فأغمض عيني وأسبح في  
أحلام لذينة .. فإن عملي ليست له مواعيد .. أذهب العاشرة  
او الحادية عشرة .. او لا أذهب على الإطلاق .. تبعاً لمزاج  
سيادتي الشخصي .. فانا مديرة كبيرة وليس لأحد سلطان  
عليّ !

لكنّ سنوات المرحاء لا تليث أن تدبر كما يدبر أيّ شيء .  
وأجد نفسي محسورة مع ركّاب الدرجة الثانية في الاتوبيس  
بعد أن كنت أركب عربة خاصّة بي وأعطي لسائقها الأوامر  
بأن يذهب بي حيثما أشاء .

وكانت لي صديقة حميمة عملها الرئيسيّ في الحياة هو ان  
تسجّل ما يطرأ على حياتي من تغيير ، الى جانب أعمالها الأخرى  
كربة بيت لها زوج وأولاد .. وكانت تقول لي دائماً :

يا شيخة حرام عليكى ٠٠ ده أنا تعبت مش لاحقة أجري  
 وراكى فىن والا فىن ٠٠ مش ناوية تستقري بقى ؟  
 كانت كلمتها هذه تثير فى نفسى كثيراً من الأفكار والأسئلة  
 والحيرة: استقر ٠٠؟ كيف ٠٠؟ ولماذا ٠٠؟ ومتى ٠٠؟  
 ثم كيف استقر وأنا أقف على أرض كروية تدور وتلف  
 بلا توقف ٠٠؟ كيف لا أتحرك وقدماي مشدودتان الى شيء  
 يتحرك ٠٠؟  
 لكن صديقتى كانت مخلصة ٠٠ وكانت تحبني فلم أشأ ان  
 اغضبها فقلت لها : حاضر يا عزيزتى ٠٠ ساستقر ٠٠  
 ولنبدأ ٠

وكانت البداية أن عرفتني بعريس ٠٠ فإن الاسنفار فى  
 رأي صديقتى هو الزواج ولا شيء غيره ، ولم أكن أعرف ذلك  
 الا بعد أن وجدت نفسى اجلس فى حجرة الصالون فى بيتها  
 ومعى رجل لم أقابله من قبل ، ولم يعجبني الرجل ٠٠ لكنني  
 رحمت مجاملة لصديقتى افتش فى ملامحه أو فى جيبوه عن  
 شيء يثير الاهتمام ٠٠ لكنه كان خالي الوفاض من كل شيء ٠٠  
 حتى عيناه كانتا خاليتين من التعبير !  
 لكنني رغم كل ذلك تزوجته ٠٠ مجاملة لصديقتى ٠٠ لم  
 أشأ أن اخيب ظنهما فى نفسها ، وفى قدرتها على إقناعي  
 بالاستقرار ٠

تزوجته ٠٠ لاني اشعر نحو صديقتى بعاطفة ما ٠٠  
 لا أستطيع أن أصفها ٠٠ ولكنها عاطفة قوية تجعلني أفكر فى  
 بعض الاحيان أن أسعدها ٠٠ وأحسست أن زوجي من هذا  
 الرجل سيكون سبباً فى سعادتها ٠  
 لكنني لم أستطع أن استمر فى إسعاد صديقتي كثيراً ٠٠٠  
 وهذا عيبي ٠٠ فانا لا اتجمل بشيء من الصبر ٠٠ وسرعان  
 ما يصيبني الملل ٠٠

آه الملل ٠٠! هذا العملاق الفاجر فاه دائماً يبتلع فى جوفه  
كل شيء ٠٠ ثم يترك من حول فراغاً كئيباً قاتلاً كأنه الموت ،  
فراغ عنيد ٠٠ يتبعنى أينما ذهبت ٠٠ ويطاردنى بالليل  
وبالنهار ٠٠ لا يخشى رهبة الحكومة وموظفيها الموقرين ٠٠  
فيتسلل اليّ من تحت باب المكتب وأجده متربصاً بى وأنا  
أقلب الأوراق وأنجز الأعمال ٠

ولا تخدعه الهوايات التى جمعتها فى نفسى ، فيلاحقنى وأنا  
الهدأ أثناء اللعب والمباريات ٠٠ ويجلس بجانبى يدندن وأنا  
اعزف على آلتى فتعلو دندنته الغليظة النشاز على صوت  
انغامى ٠

استغيت منه ، وأصرخ فى أذنه ، والطمه على وجهه ، واكسر  
القلم فى عينه ، وأقلب عليه دواة الحبر ٠٠ لكنه ثقيل عنيد  
لا يفارقنى ٠٠ فألقى كل ما فى يدي وأترك له المكان وأخرج  
الى الحلاء لأشتم الهواء ٠٠ فاذا به يتسلل مع الهواء الى أنفى ا ٠٠  
وأخبط رأسي فى جذع شجرة سميكة خشنة حتى تسيل  
منه الدماء ٠٠ لكنه لا يدعنى ٠٠ فليس هو ممن يرهبون  
منظر الدماء ٠

ورأيت الناس يسسيرون اثنين اثنين ٠٠ رجلاً وامرأة ٠٠  
والتقت عيناى بعيني رجل يختلف عن الآخرين ٠٠ قلت له  
« أهو انت » ٠٠ قال « نعم » ٠٠

وسرنا جنباً الى جنب ٠٠ وعرجنا على طريق الليل ٠٠  
وهبت نسمة باردة نديّة من صفحة الماء فشعرت بالبرد ،  
وأحسست بیده فى يدي فنظرت اليه ، كان قريباً مني ويقع  
على وجهه ضوء مصباح قريب ٠٠ وتأملت وجهه ٠٠ كان غريباً  
٠٠ لم يكن هو الوجه الذى رأيته من قبل ٠٠ كانت عيناه  
صغيرتين حمراوين ٠٠ وأنفه كبير الحجم ٠٠ وشاربه الطويل  
يتدلى على حافة فمه ٠

ووقفت .. وسحبتي يدي من يده .. وقلت له : ، لنرجع .  
لقد أخطأت . أنك لست هو . »

وعسدت الى بيتي . واغلقت باب حجرتي . وجلست على  
طرف الكرسي أضغط أصابع يدي في حيرة وقلق .. وتلفت  
حولي .. كأنما افتقد شيئاً .. آه .. تذكرت .. الفراغ ..  
أين هو ؟

ولم يُبهلني .. رأيتُه يدخل منحنيًا من فرجة الباب ..  
ويقف منتصبًا أمامي .. أهلاً .. فراغ ! ..

وجلس الى جوارِي بوجهه الجديريّ القبيح .. وقال لي  
مستغلاً : « إنك يا عزيزتي في حاجة الى شيء جديد » .  
فقلت في مرارة : « لم يعد هناك شيء جديد » .

قال : « لماذا لا تسافرين ؟ »

قلت : لقد سافرت الى كل شبر من الأرض يخطر على  
بالك .

قال ساخرًا : « الأرض ! .. وهل تسعين هذا سفرًا ؟ انت  
في حاجة الى تغيير جو الأرض .. لماذا لا تسافرين الى الزهرة  
هنا .. هيا .. ان آخر سفينة تطير الى هناك في الساعة  
مساء . أمامك أقل من ساعة لتعدي حقبتك .. »  
وقلت : « والله فكرة ! عجيبة .. لماذا لم أفكر في ذلك من  
قبل » ؟

ووجدتني بعد فليس اقف في مطار سفن الفضاء .. في  
يدي حقبتي .. وعلى وجهي ابتسامة بلهاء تنم عن أي شيء ما  
عدا الذكاء . أو الفهم .. ورأيت حشدا من النساء والرجال  
يجرون نحو السفينة فجريت معهم .. وارتقيت بضع درجات  
صغيرة ثم وجدتني في جوف السفينة ، ورأيت مضيئة حسنة  
تبسسم لي وتقودني الى أريكة صغيرة ، ووضعت حقبتي في  
مكان خاص .. وجلست على الأريكة ، فاذا بي أغطس فيها

كانني وقعت في إناء من العجيز ، وتلفتت حولي لأبحث عن منقذ  
ينتشلني فرأيت عدداً كثيراً من الأرائك تفتس فيها أجسام  
كثيرة لا تبدي ذعراً وانما تستلقي في هدوء . . ففطست  
بدوري في صمت . . وسمعت صغارة رفيعة . . أعقبها صوت  
نسائي رقيق يقول : « السفينة ارتفعت . سنتوقف في  
الزهرة عشر دقائق لنمّون . .

ونظرت في العدسة التي الى يساري فرأيت الأرض تبتعد  
عنا بسرعة هائلة . . فشعرت براحة تسري في أوصالي . .  
وتمددت في أريكتي وأغمضت عيني لأسرح ما أشاء في تلك  
الرحلة الى الزهرة، وقلت لنفسي : يا لها من مغامرة . . ترى  
ما شكل الرجل هناك ؟ وهل عندهم حب ؟ . . وتركت  
لخيالي العنان يرسم ما يشاء من المغامرات البريئة . .

وبعد ساعات لم أعرف عددها سمعت صوت المضيفة الحسناء  
تقول : « تذاكر الزهرة . . » وأخذت حقيبتي في يدي ونزلت  
من السفينة . وعلى وجهي ابتسامة عريضة جداً استعنت عليها  
بكل مواهبي ، وتلفتت حولي لأجد رجلاً أو مخلوقاً في المطار فلم  
أجد . . وسرت أضرب في الأرض الرملية علني أجد عربة  
أو تاكسيا يقلّني الى البلدة . . وقبل أن أصل الى موقف  
العربات . . رأيت رجلاً يقف في وسط المطار وفي يده حقيبة  
 . . وانبطت أسارير وجهي لا أدري كيف واتجهت نحوه  
 . . ولما اقتربت منه وجدته رجلاً عادياً يشبه رجال الأرض وله  
شارب صغير . . ولم أجد بداً من أن أسأله : « هل أنت من  
الزهرة » فقال الرجل بصوت غليظ : « نعم » ، فقلت : « والى  
أين أنت مسافر ؟ » ، فقال : « الى الأرض » قلت : « الأرض  
لماذا ؟ » فقال وهو شارد : « الفراغ » .

وحملت في وجهه لحظة وقلت : « الفراغ . . إنه في  
الأرض . لقد ودّعته منذ ساعات ، فقال غاضباً : « هراء . إنه



في الزهرة - لقد ودّعته أنا منذ دقائق ١ « . . فقلت له في غضب : « بل إنه في الأرض » . فقال في ثورة : « بل إنه في الزهرة ! » . قلت : « في الأرض » ا قال : « في الزهرة ! » . . قلت : « في الأرض ! » قال : « في الزهرة ! » . . وصفني على وجهي ا ففتحت عيني . . ورأيت الطبيب واقفاً بجواري يخطب بيديه على وجهي في صفعات ليّنة . . وسمعته يناديني باسمي سهر . . سهر . . مبروك يا متى . . خلاص العملية . .

وتقلّبت في الفراش مذهولة أحسّ أنّ رأسي قد أصبح في ثقل الكرة الأرضية . . وقلت في غضب : « في الأرض ! في الأرض » . .

وسألني الدكتور ضاحكاً : « ايه هو الى في الأرض يا سهر ؟ . . » . فقلت وأنا أثّصاب من أثر المخدر :  
« الفر . . الفر . . الفر . . الفر . . »



# الأسد

كانت انثى ، فى انوثتها دفة ، وفى جاذبيتها لهب ٠٠  
وكانت حرة لا يمتلكها رجل لأنها تمتلك رجالاً كثيرين يحبونها  
ولا تحبهم ٠٠ وكلما أحبوها لم تحبهم ٠٠ وكلما لم تحبهم  
أحبوها ٠

وكانت ذكية لم تبع نفسها لرجل ، فكل امرأة مثلها يمتلكها  
زوج كالأسد يراقبها ويحاسبها ، وقد يصفعها أو يركلها ثم  
يخرج يشكو منها لامرأة أخرى ويبيكي كالطفل بين يديها ٠٠  
لم تقبل أن تعيش مع الأسد وهو يزار ، وانظرت فى بيتها  
كالملكة ليأتيها الطفل الشاكي الباكي ٠٠ وكم من اطفال اشتكوا  
وبكوا بين يديها ٠٠ وكانت امرأة لكنها لم تكن نمر ٠٠ كان  
لها قلب ينبض أحياناً وان تراكم عليه غبار الطرق المثربة  
التي تسير فيها ٠٠ فلم يكن لديها وقت لتنفض الغبار عن قلبها  
لأنها مشغولة كرجال الأعمال وملوك الاطبان ٠٠ تمتلك أطيانا  
من الرجال لا حد لها ٠٠ من كل صنف ، وكل طبقة ، وتعرف  
كيف تجعلهم يضعون رؤسهم على حجرها ويتنفسون بهدوء  
واستسلام ثم يلذفون الدموع ويشتكون ٠

ولم تكن تسمع شكواهم لأنها كانت تسرح دائما ، تنظر  
 بطرف عينها الى الحياة باستاذية وكبرياء، فالحياة تحت قدميها  
 .. كل شيء فيها موجود عندها في العربة .. في السلاجة .  
 في الدولاب .. على الرف .. أو في جيب رجل .. كل شيء سهل  
 الحصول عليه من أي مكان قريب أو بعيد . ليست في الحياة  
 مسافات ولا مستحيلات عندها .. الحياة التي تذلّ الملايين من  
 النساء مثلها وتربطهنّ في البيوت كالماشية يفسلن جوارب  
 أزواجهنّ ، وتنصهر بشرتهنّ الرقيقة أمام نار الطهو والشّي ..  
 وبعد أن يلتهم كلّ زوج الطعام الشهيّ ، ويبدل الجوارب المتسخ  
 ويصدر الشخطة أو التكشيرة يفزّ من البيت والزوجة الى الحياة  
 .. اليها ..

وتتلقاهم باسمه ناعمة معطرة . فهي لا عمل لها إلا أن  
 تزيّن وتتعطر وتلك ساقها ويديها .

وكم تمتّعت هذه الحياة الحاملة بلا واجبات من زمن طويل  
 حينما كانت في السابعة عشرة من عمرها فتاة صغيرة تتعلّم  
 الآلة الكاتبة لتحصل على عمل .. وفي أوّل شهر قبضت فيه  
 ماهيتها خفق قلبها ولعت عينها من الفرح وهي تخفي الستة  
 جنيهات بعد أن عدّها عشر مرات في بطانة حقيبتها ، وضغطت  
 عليها تحت أبطها حتى لا يخطفها أحد الصبيان الذين يفزون  
 على سلّم الترام ، وأوّل ما وصلت بيتها أخرجت الجنيهات الستة  
 لأُمها وهي تنظر في عينيها لتشبع نفسها من السعادة الضخمة  
 التي تحسّها وتراها ، واغرورقت عينا أمها بالدموع وهي  
 تحتضنها وتقبلها قائلة : « ربنا يخليك يا فريدة يا بني ..  
 خلاص ربنا فرجها علينا وعوضنا بك عن المرحوم »

ومن يومها وفريدة تحسّ أنها تفتح بيت المرحوم أبيها ،  
 وانها تعول أسرتها ، وأصبحت تثق في نفسها كما يشق في  
 نفسه أيّ رجل يفتح بيتاً ويعول أهله .. ورفعت رأسها وهي

تمشي لنشعر العالم أي مسنولية نرعاها وأي أهمية لوجودها  
 ٠٠ وحينما كان يعاكسها في الطريق شاب رقيق كانت تنظر  
 إليه شزرا كأنها تتعجب من جراته على معاكستها هي التي  
 تقبض ماهية وتقول أسرة ٠٠ أو حينما توشك على دهمها عربية  
 تتعجب كيف لا يحترم الناس حياتها ويقدرّون وجودها لأنه ان  
 ضاع يضيع معه وجود أسرة بأكملها ٠٠

ولما بلغت فريدة العشرين من عمرها ، واشتدّ بروز نهديها  
 وضمور خصرها ٠٠ تحت الفستان البسيط الذي تلبسه في

المكتب كلّ صباح ، لاحظت أن سكرتير « سعادة البك » يطيل  
 إليها النظر وهي تكتب على الآلة الكاتبة ، واختفت لهجته  
 الحسنة الأمرة التي عودها عليها بصفته رئيسها المباشر ٠٠  
 وكأني أنشئ فهمت بغريزتها السبب ودبّ الحماس الدافئ في  
 داخلها ، وجعلها تمشي بخطوات أخفّ وأرشق ٠٠ وفي بيتها بعد  
 أن تاكل ما أعدته أمها تذهب إلى سريرها ، وتمتدّ ساقها ،  
 لتقضي ساعة أو أكثر في تخمين لذيذ عما سيكون سبباً لهذه  
 الرقة الجديدة ٠٠

ولم تعش أياما كثيرة في لذّة هذا التخمين إذ أصبح السبب  
 مؤكدا واعترف لها السكرتير بحبه في ليلة مقمرة بجانب  
 النيل ، وتلدّقت طعما جديدا لم تعرفه من قبل ٠٠ طعم  
 الرجل ٠٠ أنفاسه وعرقه ٠ ولم يعجبها هذا الطعم أو لم يكن  
 في مستوى خيالها الحصب، واحتست أن الواقع صغير بالنسبة  
 للخيال، لكنّها قنعت به وظنّت انها لن تجد واقعا خيرا منه  
 ٠٠ فهو رجل مثل كلّ الرجال وهو رئيسها ٠٠

وبعد أيام قليلة اعتادت هذا الواقع وألفته ، وأصبح أجمل  
 مما كان ٠٠ ولم تتصوّر أن هناك سعادة أكثر من أن تتزوّج  
 هذا السكرتير لولا أنها اكتشفت سعادة أكبر ٠٠ إذ تغيب  
 السكرتير يوما عن العمل ، واضطرت إلى القيام بأعماله ،

ودخلت حجرة « سعادة البك » لأول مرة ، وتمتدّت قدمها في السجاد الفاخر ، ولم تجرؤ على التدقيق في ملامح « البك » ، لكنها رأت ابتسامه على شفّته ٠٠ ابتسامه رقيقة ٠٠ وبعد هذا اليوم أصبح « البك » يطلبها الى حجرته ، ويكلفها بأعمال ليست من اختصاصها ٠٠ وبعد انتهاء العمل في أحد الأيام لاحت « سعادة البك » وهو يركب عربته ، ولم تتوقع أن يناديها بالاسم ، ويدعوها للركوب معه قائلاً :

- بيتك زين يا فريده ؟

وتلعثمت وهي تقول :

- في العباسية ٠٠

وابتسم وهو يفتح لها باب العربة قائلاً :

- تعال ٠٠ تبقي في سكّتي وأنا طالع مصر الجديدة ٠٠

ووكبت الى جواره ، وهي تلتصق بباب العربة لتحصل على أكبر مسافة بينه وبينها ، وأطرقت وهي تفكر أصابعها ٠٠ إنها أول مرة في حياتها تركب عربة ملاكى ٠٠ وبجوار من ؟ « سعادة البك » ، رئيس رئيسها ، وصاحب الجاه ، والمال ، والمكتب ، وكل شيء ٠٠ ولم يساورها شك في أن تصرّفات البك معها ماهي إلا اشفاق عليها ، وخصوصاً وهي كما وصفت نفسها في طلب العمل يتيمة الأب وتعمل أسرتها ٠٠

ولم يدم يقينها بهذا الإنسفاق طويلاً ، إذ بعد ثلاثة أيام بالعدد ، كانت تركب بجوار البك ، ولم تكن تلتصق بالباب خجلاً وانما كانت تلتصق بالبك نفسه الذي حوطها بذراعه وبين كلّ عمودين نور يميل عليها ليأخذ قبلة ٠٠ وكانت فريده تنظر الى ما حولها كأنها عمياء أو نائمة تحلم ٠٠ وأوقف البك العربة فنزلت ، وانحنى أمام المصعد لتدخل أمامه فدخلت ٠٠ وصعد المصعد الى أعلى كأنه يصعد الى السماء ، ثم وقف وخرجت أمامه ٠٠ وأخرج البك من جيبه مفتاح شفّته ، وفتح الباب

وانحنى لها لتدخل أمامه فدخلت ٠٠

لم تدر فريدة كيف فرطت في نفسها مع هذا البك رغم أن  
السكرتير لم يستطع أن يأخذ منها شيئاً ٠٠ لكنها كانت لا  
تستطيع أن تخالف البك أو خيل اليها أنه شرف عظيم لها أن  
تنام في أحضانه على فراشه الوثير ٠٠ ولم تعرف قيمة مامنته  
له من نفسها الا بعد شهر كامل ، بعد أن ملأها البك ولم يعد  
يوصلها الى البيت أو يعطيها مواعيد لتلقاه بالدليل كما كان  
يفعل ٠٠ وعادت فريدة منكسرة الى مكانها على الآلة الكاتبة  
بجوار السكرتير ٠٠ وتباعد عنها السكرتير أياً ما قليلاً ، ثم  
عاد يبتئها غرامه ، فعادت اليها ثقها بنفسها وبكت على صدره  
وهي تحكي له قصتها مع البك بالعكس ٠٠ قالت إن البك أحبها  
وظل يغريها لكنها لم تحبه لأنه سمين وله كرش ثم تركها بعد  
أن يلس منها ٠٠ وأحسّت بالزهو وهي تحكي ولو بالكذب عن  
انتصارها على البك وزاد زهوها حينما لمحت معالم التصديق  
في عيني السكرتير ٠٠

وعرفت أن السكرتير لن يتزوجها لأنه متزوج ولهذا لم نلتزم  
معه العفة والادب، وتعمدت أن تكون مستهترة، فهي تقبله مرة ٠  
وتهجره مرة ٠٠ وتحكي له بالكذب عن مغامراتها مع رجال  
آخرين لتعذبه وتهزأ من رجولته ٠٠ وهي في الواقع تنتمرن  
على الحلاعة وتجرب معه الحياة المستهترة بلا خلق ٠٠ ولعل  
تجربتها السافرة هذه هي التي أفهمتها سر الرجل لأنها كانت  
تقلبه وتفتش فيه بجراة عن نقط ضعفه ٠٠ لذلك حينما سكن  
الى جوارهم ذلك الشات الطيب الذي تخرج من معهد التربية  
واشتغل مدرسا استطاعت فريدة في الدقائق التي تمكثها في  
البيت أن تجذب عينيها اليها ثم تجذبه كله بعد أيام ليطلب  
يدها من أمها ٠٠ وقبلت فريدة الزواج بلا تفكير ٠٠ لأنه شيء  
جديد لم يحدث لها من قبل ٠ فقد عاشت مع البك في شقته

أياماً طويلة لكنّها لم تعتبر ذلك زواجاً .. لأنّها تريد أن يعرف الناس أنّها تزوجت .. أن يصبح لها زوج وبيت وأولاد .. أن يكون لها رجل تضع يدها في يده في ضوء النهار كالنساء الشرفاء، لا أن تتلصص معه في الظلام كالمشبهين .  
 وحينما جلس الشاب الطيّب أمامها ، وأخذ يدها في يده أغرورقت عيناها بالدموع ... دموع الحب .. وأحسّت لأول وهو يردد وراء الشيخ العجوز : « لقد قبلتك زوجتي يا فريدة » مرة في حياتها أنّها تحب هذا الشاب الطيب الذي يعلن زواجها أمام كل الناس بصوت عال ..

ودخلت معه بيته لأول مرة وهي نحسّ أنّها ستبذل حياتها أرضاء لهذا الزوج الطيّب وأن تخلص له كلّ الإخلاص . لكنّها لم تستطع .. إذ شعرت بعد أيام قليلة أنّ أمنيتها تحققت وأن الناس عرفوا أنّها تزوجت ونادوها بالعروسة ثم كّفوا عن النداء .. وانتهى الحماس الذي كانت تحسّ به نحو هذه الحياة الجديدة ، ولم يعد عندها للزواج معنى بعد هذا سوى ذلك الزوج البارد الذي يتحرّك في البيت بشبهه البطيء البليد فيثير في نفسها شعوراً بالكآبة كأنّها تعيش في قبر وتدفن معها حيويّتها وذكائها وجاذبيّتها .. وحينما كان يجلس زوجها معها ، يتكلّم ويرى لسانه وهو يخرج ويدخل ، ولعابه الأبيض وهو يتجمّع عند زاويتي فمه تشمئز من حديثه وغبائه وتثور فيها نيران التمرد على هذا القيد السخيف وتناجّج رغبتها في الانطلاق .. في الحرّية .. في الاستهتار . في أن تعيش كلّ لحظات يومها وليلها .. أن تنشر جاذبيّتها أمام الرجال وتستمتع بما تراه في عيونهم من رغبة ولهفة ..

وصمّمت على أن تطلق هذه الحياة الراكدة ، فهي لا تؤمن بالزواج أياً كان ، ولا تحتل أن تبيع انوثتها ومواهبها لرجل مقابل لا شيء، سوى قيود واحتكاك والتزامات هي في غنى



عنها ..

وعادت فريدة بحقيبة ملابسها الى بيتها .. وقابلتها أمها  
بالدموع .. فالأم لا يفجعها شيء مثل طلاق بنت من بناتها ..  
ومسحت لأمها دموعها وهي تبتمس ، وقالت لها إنها هي التي  
طلقت زوجها لأنه أناني أراد أن يستولي على كل إيراداتها ولا  
يترك شيئاً لأسرتها ..

وتنفسست فريدة بهدوء كأنها أوقعت عصفورين بحجر واحد  
.. وجففت أمها دموعها وهي تدعو على الرجل الأناني المخادع  
وتقبل ابنتها في حب وامتنان وهي تقول : ربنا يسعدك يا بنتي  
ويعوضك .. طول عمرك بتضحى علشاننا ..

وعادت فريدة الى حياتها الأولى .. عادت رب البيت الذي  
ينفق ويدبر ويدخل ويخرج بلا حساب .. وعادت اليها ثقتها  
بنفسها وشعورها بأهمية وجودها .. وعادت حرة لا يمتلكها  
رجل .. وتمتلك رجالاً كثيرين يحبونها ولا تحبهم .. وكلما  
أحبوها لم تحبهم وكلما كرهتهم أحبوها .. لكنها تعرف كيف  
تجعلهم يضعون رؤوسهم على حجرها ويتنفسون بهدوء ..  
وأصبحت الحياة تحت قدميها .. كل شيء فيها موجود عندها في  
العزبة أو في الثلاجة أو في الدولاب ، أو في جيب رجل ..  
لبس في الحياة مستحيلات عندها ..

ورغم كل هذا لم تكن نمره دائماً ... كان لها قلب ينبض  
من تحت الغبار الذي تراكم عليه .. وحينما تحسن بقلبها وهو  
ينبض تتطلع حولها كالمشدهوة وتموت الابتسامة الدائمة على  
شفتيها ، وتضع يدها على قلبها وهي ترى الحياة أمامها ضخمة  
كالعلاق وهي تحت أقدامه لا تستطيع أن تلمسه .. لكنها  
تحاول أن ترى شيئاً .. فتتظر من بين أقدامه كالشاردة الى  
نفسها .. الى حقيقتها .. فتحداه ، لا شيء



## مينا كون نافرة

جلست على المقعد الخشبي المؤلم واستندت ذراعي التي تحمل راسي على مكثبي ، واخذت أفكر رغم أنني ٠٠ ورغم أنني عاهدت نفسي على ألا أفكر ، وأن أشتغل في هذه الوظيفة كما يشتغل الناس ، لكنني في هذه اللحظة شعرت بالعجز الكامل عن مقاومة التفكير ، فالأشياء التي تعيش داخل راسي أحس لها دبيباً وأسمع لها همساً عالياً يكاد يفلق راسي نصفين ٠٠

واستسلمت في ضعف لأن أفكر ، فوضعت الملف الغليظ في درج المكتب وأغلقت القلم الحبر ووضعت في حقيبتي ، وأعطيت ظهري للرجل الذي يجلس بالقرب مني لأحجب عن عيني راسه الغليظ ولأبعد أذني عن صوته الأجاج ،

واخذت أفكارني تتقاذفني بسرعة هائلة وأنا بينها أدور وألف كأنني داخل تروس ساقية تدور وتزن وتزن ٠٠

وسمعت الأشياء التي تعيش في رأسي تدب من فوقني وتقول :  
 « ما هذا الذي فعله ؟ هل هذا هو طموحي ؟ هل هذه هي آمالي ؟  
 لا شيء ! واحدة من الناس ٠٠ من الملايين ٠٠ أجلس على هذا

المكتب الخشبي ست ساعات متواصلة أقوم فيها لأتمشي مرة أو مرتين لالين مقاصلي ثم أجلس ثانية ٠٠ لو مت هذه اللحظة فلن يفقد العالم شيئاً يذكر، بل لعله سيزيد مقعداً خالياً للآلاف المنتظرين على الأبواب يطلبون الشغل ٠٠ لن يشعر العالم بفقدي أبدأ ٠٠ ربما سطر أو سطران في ذيل جريدة لا يقرأها إلا بعض الموظفين المحالين إلى المعاش ،

وأحسست بوجوم يحشم على صدري فأغلقت درج مكتبي بالمفتاح وأخذت حقيبتى وخرجت إلى الشارع ٠٠ وكانت السماء تمطر رذاذاً خفيفاً وهواء الشتاء يهبّ بارداً يلفح وجهي ويصيب جسمي برعدة تصطك لها أسناني ٠٠ ووضعت يدي في جيبى لأدفنهما وسرت أنظر إلى العربات الفاخرة وهي تجري ومن داخلها رجال ونساء لا يشعرون بالبرد وينظرون إليّ من وراء الزجاج المحكم في تعال وكبرياء بلا إشفاق على حالي وأنا أصارع المطر الذي بدأ ينهمر ثقيلًا على رأسي فيفسد تسريحة شعري التي دفعت فيها بالامس ثلاثين قرشاً اقتطعتها بمشقة من ميزانيسة الأكل ٠٠

وضعت حقيبتى على رأسي ونظرت شرداً إلى امرأة تجلس كملكة في عربة طويلة جداً ٠٠ وقلت لنفسى إنها عربة زوجها بلا شك تأخذها منه في الوقت الذي يعمل فيه لتدفع بها الشوارع من أجل لا شيء ٠٠ إن شكلها لا يدلّ على أنها تشتغل شيئاً وإنما أحد يشتغل من أجلها ٠٠ لا يمكن لهذه المرأة أن تصحو من النوم قبل الحادية عشرة صباحاً ٠٠ أيّ لذة تلك التي تجدها في الراحة والكسل !

ومضيت أفكر ٠٠ وخطر لي فكرة غريبة ٠٠ سأستقيل من عملي وأبحث لي عن زوج يشتغل من أجلي وأنا من حتى العاشرة صباحاً ٠٠ لقد تعبت من القيام مبكرة ٠٠ ماجدوى كل هذا العناء

الذي أنا فيه ؟ لا شيء ! حتى المأكولات التي اشتيتها وأنا تلميذة صغيرة لا أستطيع أن اشتريها .

وأحسست ببرودة أخرى غير قطرات ماء المطر تتساقط على رأسي وأنا أشعر بطوحجي وأمالي وإحلامي كلها تنقلص وتنكمش لتتجصر في هدف واحد هو العثور على زوج ..

وأسرعت الى بيتي وقد غمرتني الفكرة الجديدة بنوع من الحماسة . . . وحينما وصلت الى العمارة رأيت عربة خضراء طويلة تقف وتنزّل منها فيفيي . . . ورأيت البواب يقف لها في احترام وإكبار ولا يكاد ينظر إليّ . . . وفتح لها باب المصعد فدخلت أمامي . . . ودخلت وراءها . . . كانت فيفيي ممثلة ناشئة لم تشتهر بعد ، لكنها كانت تستأجر شقة بأربعين جنيهًا ، خمس- غرف ، وكنت أنا أعيش في غرفة واحدة بعشرة جنيهات ، ولا يتبقى لي من المرتب الا ستة جنيهات تقريباً أنفقه في الأكل والملبس والمواصلات . . . ولا يبقى للبواب الا عشرين قرشاً أضعها له في أول كلّ شهر في خزانة شديدة فبرشنتي بنظرة احتقار بالغة وأبلغ ريقى وأقول له : « معلهش يا عم محمد ، أن شاء الله في الشهر الجاي أزودك »

ونتمنى المشهور نلو المشهور ولا أزيد شيئا بل لعلي كنت أنقص  
وزنا ١٠

وقلت لنفسى وأنا ادخل شقتى سياستقيل من شغلي واصبح  
ممشلة ٠٠ ولم لا ؟ انه اسهل طريق للحصول على الفلوس واحترام  
الناس ٠٠ اسهل من الحصول على زوج ا

ونظرت الى المرأة اتأمل ملامحي واتخيل نفسي على الشاشة  
 أمثل الناس يتفجرون ٠٠ واخذت أفتح فمي وأغلقه ، وأنظر  
 نظارة غرام مرة ونظرة عتاب مرة ونظرة انتقام مرة ٠٠ مددهسلا  
 ورضيت على نفسي ٠٠ إنني أصحح للتمثيل ، بالغباء! كيف ضللت  
 طريقي ودخلت كلية الطب ؟

وخلعت ملابسي ولبست ملابس النوم ودخلت السرير دون أن  
أكل ، إن نفسي مصدودة بعد أن انتشيت من بريق المجد والجاه  
والشهرة التي رسمتها لحياتي المقبلة • وغلبنى النوم فتمت ••

ولم أدر كم مضى من الوقت ، لكنني صحت على صوت طرق  
شديد على باب شقتي ، فقممت مدعورة لأرى من الطارق ، ورايت  
عم محمد البواب يقف لاهئاً ويقول لي في استعطاف : « والنبي  
يادكتور مايدة الست فيفي تعبانة بجوى وطالبة حضرتك دلوقت »

ووضعت على كتفي روباً صوقيّاً ، وأخذت حقيبتي وصعدت  
مع البواب إلى شقة فيفي •• وهناك على السرير الناعم الذي يبرق  
بالحرير من فوق ومن تحت رأيتها •• فيفي •• التي سحرت لبّي  
بعبثها وملابسها ومالها تنام أمامي وحول عينيها هالتان سوداوان ،  
وعلى وجهها صفرة بائسة •• كانت ترتجف وتئن •• ولما رأته  
قالت في استعطاف : « أرجوك يادكتور أنا عيانة خالص •  
هندي صداع وحرارة وجسمي كله بيرتعش ، أرجوك تكشفي  
علي • »

وجلست بجوارها ، وامسكت يدها لأعدّ نبضها •• ومضت  
لحظة صمت رهيبة كتمت فيها فيفي أنفاسها ، ووقف البواب  
خلفي ، وأحسست كأنه من رهبة الموقف كتم هو الآخر أنفاسه  
ووقف في خشوع وإجلال ••

ومددت يدي في ثقة ووضعت السماعة في أذني •• ونظر  
البواب إلى الآلة الصغيرة في خشوع كأنه ينظر إلى شيء سحري  
إلهي فوق قدرته البشرية ، ثم استدار وأعطانا ظهره متأدّباً ،

وتركت فيفي صدرها تحت سماعتي في استسلام ، ونظرت  
إليّ في ثقة وإجلال كأنني قادرة على منحها الشفاء في اللحظة التي  
أسمع فيها دقات قلبها •• وأتممت الفحص ، وكتبت لها العلاج  
ونصحتها بما يجب أن تتبعه ••

ورأيت فيفي تبسم في راحة وأنا أضجع أدواتي في حقيبتى  
وأخرجت من تحت وسادتها كيساً وملئت لي يدها بجنيهين...  
لكن تراجعت في إبله وكبرياءه وقلت لها باسمه : « لا مش  
معقول ، ده احنا جيران »  
نظراتي البواب منهشاً ثم أسرع فحمل عني حقيبتى وسار  
خلفي في خشوع ،  
وعند باب شقتى أخذت منه الحقيبة ثم أغلقت بابى .. وذهبت  
الى فراشي لا أكمل نومي ، وابتسمت لنفسى في سعادة وأنا أحس  
بدفء السرير .. ونبت أحلم بوقتني ناعمتين كل منهما تساوي  
جنيهاً .





## قصّة حياة طبيبة

كتبّت الطبيبة « س » في يومياتها تقول :  
التقطت نظراتي المرمقة ، نظراتها الفزعة القلقة في استنجاحها  
المكتوم ، وفي حيلاتها الهائلة ، وكأنها يمينها الصغيرتين الزرقاوين  
وهما تنفخسان وجهي وتبحثان في أعماقي عن شيء من الرحمة  
والإشفاق ..

وأحسست أن إرهاق جسمي من كثرة العنل بدأ يتبدد سريعاً  
وأنّ نشاطاً جديداً اجتاحت أعماقي .. وكأنما أحسست نفسي أنها  
على وشك أن تعطي شيئاً من ذاتها ، أو أن تمنح شيئاً لصاحبة  
هاتين العينين المستغيثتين ، فأخذت تشحن نفسها بطاقة جديدة  
استعداداً للبلد ...

وجلست الفتاة المتهاكمة أمامي ونظراتها متشبّثة بوجهي  
لاتتحول عنه مما جعلني لا أثبّته للرجل الطويل العريض الواقف  
بجوارها .. والذي فطن إلى أنني لم أره فاراد أن يشعرني بوجوده  
فقال بصوت له نبرة مثقفة لم تهذب من غلظته وخشونته :

- ارجوك يادكتور إن تكشعي على اختي . أريد أن اطمئن  
عليها وذلك لأننا سنزوجهما في الأسبوع القادم لابن عمها ..

ولا أدري من أين جاءتها الشجاعة فسمعتها تقاطعه قائلة:

— أنا لا أحبه ! .. ولا أريد أن أتزوجه !

ونظرت إليّ في استعطاف :

— لا أحبه يادكتورة !

وأشار لها الأخ في شدة أن تصمت وقال محتدًا .

— إنَّها لا تريد أن تتزوّج لسبب آخر يا دكتورة .. أظنك  
تفهمين . أرجوك الكشف عليها لتطلعيني على الحقيقة ..

وعادت العينان الصغيرتان الزرقاوان تفزعان في قلق  
واستنجاد مكتوم .. وأخذت أنظر في أعماقها لعلّي أمتدّي إلى  
خيوط القصة لكنني لم أجد فيهما إلا فزعا وقلقا ، وأسترخامًا ..  
وكنت على وشك أن أقذف في وجه الأخ برأيي .. أن أقول له :

— متأسفة ياسيدي .. أنا لا أستطيع الكشف عليها من أجل  
هذا الفرض .. إنَّ الطبّ لم يعمل من أجل هذا .. ثم إنَّ هذه  
المسألة شيء يخصّها وحدها ولا داعي لك كآخ أولي كطبيبة أن  
تتدخل .

وكانما أحسّ الفتاة بما براودني فازدادت بطراتها تشبّثًا  
بي وكأنها تقول لي :

— أرجوك .. لا تتخلى عني .. سيذهب بي إلى طبيب آخر

ووقفت وقد عزمت على أمر . وقلت بلهجة الطبيب حينما يقرّر  
أمرا ، وليس هناك من قوة تستطيع أن تقف أمام الطبيب حينما  
يحزم في نفسه أمرا :

— تسمح تجلس في الحارج قليلا حتى انتهى من الكشف

وأصبحت أنا والفتاة وحدنا .. ونظرت إليها .. وشجعتها

نظراتي المشفقة الرحيمة على أن تنظر إليّ في اطمئنان ، قالت في  
استعطاف :

- أرجوك يادكتوروة .. ارحميني من هذا الاخ، سيقتلني !  
واقتربت منها قليلا فرأيتها تنظر الى يدي في فزع وتقول :  
- هل ستكشفين عليّ ؟! أرجوك .. لا أستطيع ! لا أستطيع !  
ووضعت يدي في جيبي المعطف الأبيض لاطمئنها وقلت لها  
وأنا اجلس الى جوارها :

- لا تخافي .. لن اكشف عليك .. ولكن قولي لي الحقيقة ..  
وسوف تكون سرّاً ، لن أبوح به لأحد أبداً ..  
قالت :

- لا أحبّه يادكتوروة .. ولا أريد أن أتزوجّه ..  
ونظرت اليها وابتمست ابتسامة ذات معنى .. فقالت :  
- ولا أحبّ رجلاً آخر ..  
وأحسست أن الفتاة لاتقول الحقيقة ..  
ووضعت رأسي بين يدي وفكرت .. إنني لن اكشف على الفتاة  
لان هذا ليس من حقّي الا اذا طلبت مني ذلك .. وهى لم تطلب  
بل إنها ترفض !

واخذت أنظر الى ملامح الفتاة لعليّ أنزع الحقيقة منها ، ولكنني  
سرعان ماتراجعت وقلت لها :

- حسناً يافتاتني الصغيرة .. ساخبر اخاك أنّني لا شأن لي  
بهذا الموضوع

ورأيت الفتاة تقبل نحوي في دعر واستعطاف :

- لا .. لا .. أرجوك سيذهب بي الى طبيب آخر قد يكون  
فظلاً .. قولي له إنك كشفت عليّ .. وأننى فتاة شريفة .. هذا  
شيء يسير عليك يادكتوروة .. مجرد كلمة تتفوهين بها تنقذين

بها حياتي ٠٠ إن أخي رجل قاسٍ ، إنه سيقتلني ! ارحميني  
يادكتورة !

سأقول لك الحقيقة ٠٠ اننى احب رجلا آخر ٠٠ وهو يحبني  
وقد اتفقنا على الزواج فى الشهر القادم ٠٠ أقسم لك إنه لم يحدث  
بيننا شيء مخلّ بشرفي !

ونظرت الى العينين الزرقاوين المسترحمتين وكأنما تؤكدان لي  
أنها على حق ٠٠  
وابتسمت لها وكأنني أؤكد لها أنها على حق ٠٠ ولكن  
ولكن ماذا ؟

سألت نفسي ٠٠ وسألت ضميري ٠٠ وراجعت كلمات القسم  
الذى رددته فى أول يوم مارست فيه عملي ٠٠ واستعدت فى  
ذاكرتى قوانين الطب ٠٠

ولم أشعر إلا وأنا أتجه الى الباب فافتحه ، وطلبت من أخيها  
الدخول ، وقلت له فى ثبات وقوة :  
- ان أختك فتاة شريفة !

قلتها وأنا أؤمن بعقلي ووجداني وانسانيتي أنها شريفة ٠٠ إن  
الطبيب يستطيع فقط أن يفرّق بين المرض وغير المرض ٠٠ ولكن  
لايستطيع أبدا أن يفرّق بين الشرف وغير الشرف ٠٠  
وارتسمت على ملامح الأخ الفجأة ابتسامة لم تكسبها الثقافة  
من الهدوء المعقول ٠ ابتسامة عريضة ٠٠ كأنه بهذه الكلمات قد  
اطمأن على شرفه أو استردّه ٠٠

وقلت له وقد انفعلت بالشعور الجديد :  
- أظن أنه من اللائق أن تعتذر لأختك عن شكك فيها ٠٠  
 واعتذر لها وهو ينظر إليها فى سعادة ريفية ساذجة ثم  
أخذها وأخرج ٠٠

ووضعت رأسي على كتفي .. أفكار شتى تعصف برأسي ..  
ولم أشعر بيدي وهي تزحف ال درج المكتب وتسحب منه  
ورقة بيضاء وقلماً .. وكتبت ورأسي مازال ثقيلاً .. كتبت  
قسماً جديداً وهو :

« أقسم أن تكون إنسانيتي وضميري هما قانوني في عملي  
ولنأ .. »  
ووضعت القلم .. واحسست براحة لم أشعر بها منذ فترة  
طويلة .



## من أجل من؟

دقّ جرس التليفون بجوار رأسي حادّاً صاخّاً ، ملجأً ،  
لتقلّبت في فراشي أبعد رأسي عنه .. أهرب منه ، ولكنه ظلّ  
يهلر في سكون الليل يمزّق من حولي ستائر النوم المخدرة  
اللذيفة .. يلاحقني كلما هربت منه .. وامتدّت يدي بلا إرادة ،  
ورفعت المسامع إلى الأذن وقلت وأنا أئنساب :

- ألو ...

وجاءتني حشرة خشنّة تبينت فيها صوت رجل يقول :

- الدكتورة موجهة .

- أيوه .

- أربوكم . اسمعيني . أنا مريض .

- أين تسكن ؟

— شارع الجيزة رقم كذا ٠٠

— حاضر ، سأتى ، اليك حالا .

قلت الجملة الاخيرة بلا تفكير ، وخلعت ملابس النوم، وارتديت ملابس الخروج وأخذت حقيبتى المعدّة ، وخرجت الى الشارع ٠٠ وركبت سيارتى الصغيرة واتجهت الى الجيزة ٠٠ وكنا فى فبراير والجو قارس البرد ، والليل شديد الظلمة بلا قمر ، ولا اكاد ارى طريقى إلا من خلال أنوار المصابيح المتناثرة بعضها منير ، ومعظمها مطلقاً لا أدري لم ٠٠٠

وضغطت بقدمى لأطلق العنان للسيارة فانطلقت بى كالطائرة ووجدتني بعد دقائق قليلة فى شارع الجيزة ٠٠ ووقفت فى عرض الشارع لاهثة وضعت يدي على قلبي فى أسى ٠٠ آه ٠٠٠ لقد نسيت رقم بيت المريض ٠٠٠ وأخذت أستجمع ذاكرتى وأذكرها فى الكلمات التى سمعتها من المريض لكى أذكر الرقم الذى قاله لى دون جدوى ٠٠ كأننا أصبح عقلي مادة صلبة من الحجر لاتعي شيئاً ٠٠٠

وسرت بالعربة يائسة تائهة ٠٠٠ أتخيل الرجل المريض وهو ينتظرني بين لحظة وأخرى وأنا لا أجيء ، ويظنّ أنّى تلقيت استغاثته ثم استسلمت للنوم ، ولا يعلم أنّى ربّما أمرّ من أمام بيته دون أن أعلم ٠٠

وفجأة من بين يأسى وحزنى لمحت نوراً خافتاً في إحدى النوافذ فخفق قلبي من الفرح والأمل وقلت لنفسى : هو ا ٠٠ المريض ينتظرني ! من غيره يستطيع أن يسهر الى هذا الوقت من الليل ؟

ونظرت الى ساعتى كانت الثالثة صباحاً فانطلقت بعمرى تبحر تجاه النور ، وأوقفتها أمام البيت ، وصعدت السلم ، ووضعت



يدي على الجرس ، وقبل أن أضغط على الجرس أحسست بهاتف من أعماقي يقول لي وماذا لو لم يكن بيت المريض ؟ ٠٠ وخفت من المغامرة ، وهيمت بأن أعود أدراجي ، لكنني تذكرت صوت المريض الضعيف الحائر ، وتخيلته جالساً ينتظرني ، فاندفعت الى الجرس وضغطت عليه بكل قوتي ٠٠ وسمعت صوت أقدام تقترب من الباب ، ورأيت « الشراعة » تفتح ويطل منها رأس امرأة مشعث ٠٠ ونظرت إلي المرأة في دهشة كبيرة فقلت لها على الفور : متأسفة ٠٠ هل يسكن هنا المريض الذي ٠٠

وقاطعتني المرأة في صوت حاد مستنكر : « مريض ١٩ » ورشقتني بنظرة ارتياح بالغة فاعتذرت لها بسرعة ، وهرولت الى السلم أجري ، وقد أحسست أنها ستجري خلفي وتمسكني من ملابسي ٠٠

وركبت عريتي وعدت الى شارع الهرم اسير على مهل وفي فليبي ثقل كبير ٠٠٠ ووصلت البيت ، ووضعت مفتاح الشقة في الباب ودخلت ، فاذا بي أرى زوجي واقفاً في الصالة ولما رأيته أقبل عليّ وسألني قائلاً : « أين كنت ، لقد استيقظت بالصدفة فلم أجده ٠٠ أين كنت ؟ »

وحكييت له القصة من بدايتها ، منذ سمعت المحادثة النليعوية حتى ضغطت على جرس البيت المجهول ، ولاحظت أن أنفاسه تملو وتهبط ورائته ينظر إليّ في دهشة وفزع وسألني :  
- ومن الذي فتح الباب ؟ رجل أم امرأة ؟ ٠٠

ونظرت اليه في أسى وقلت :

- لم يكن هو بيت المريض .  
لكنه لم يأت به لكلامي وأعاد سؤاله قائلاً :  
- رجل أم امرأة ؟

قلت وأنا شاردة :

- امرأة •

فهدأت ملامح وجهه وعاد ليواصل في راحة بال واطمئنان •  
وجلس في الصلاة أفكر ••• أشياء كثيرة ترتطم براسي  
وتسبب لي ألما ••• ولم أدر إلا ونور الصباح يملأ المكان وأنا أجلس  
وقد غلبتني سنة من النوم تشبه اليقظة •••

وانقضت على تلك الليلة أيام كثيرة خلت أنني نسيته •••  
حتى كان يوم كنت أجلس في عيادتي وقال لي التمورجي إن رجلاً  
يريد مقابلتي ••• ودخل الرجل ، ورايته ينظر إلي متعصفاً ثم  
قال :

- حضرتك الدكتور سعاد •

- أيوه •

فمصص شفتيه وقلبيهما وسكت قليلاً ثم قال :

- حضرتكم عاملين دكاترة ؟

ودهشت لهذا الهجوم المفاجئ وقلت في قرع :

- ماذا تقول ؟

فقال في ثورة :

- أنا كنت على وشك الموت ، ولا دكتور واحد رضى يسعفني ،  
وفضلت للصباح لغاية ما جاني دكتور ••• لكن بعد ايه ؟ حتى انت  
يادكتور قلت لي انك جاية وكذبت علي ؟

وتردّدت قليلاً في أن أحكي له القصة ثم رويت له ما حدث .  
لكنه لم يصدّقني وخرج وهو يقول :

- ١٢٦ -

- طبعا ، كل الدكاترة يقولوا كله ، -

وجلست ، وضعت رأسي على كفي ، وفي قلبي ألم يعتصره بلا  
رحمة أو شفقة ... وقلت لنفسي في أسي ما من أحد عرف  
الحقيقة . لقد ارتابت المرأة التي فتحت لي الباب في أمري ..  
وارتاب زوجي في الشخص الذي كان بالبيت المجهول ، وارتاب  
المريض في أنني خرجت لأسعفه ... وأنا ؟! وأنا أعلم أنني  
فعلت ذلك بكل وعي وكامل ارادتي ... ولكن ما الفائدة وما من  
أحد غيري يعلم ؟

وأحسست بدموع ساخنة تسيل على وجهي .. ولم أدر ما سببها  
.. هل كنت أبكي من أجل الناس ؟ أم كنت أبكي من أجل  
نفسي ؟!

## الفهرس

ص	
٥	حنان قليل
١٣	كرامة
٢١	الطريق
٢٩	الكوافير سوسو
٣٥	لن تجديه يا ليلي
٤٤	ليست عذراء
٥١	هيتروفس ... هيتروفس
٥٧	الشيء الصعب
٦٧	مجرد صورة
٧٥	الدوسيه الضائع
٨١	ومات الحب
٨٧	سوسن
٩٥	فراغ
١٠٣	لا شيء
١١١	حينما اكون تافهة
١١٧	قصة من حياة طيبة
١٢٣	من أجل من؟

مركز ساسة جواد الجامعة والتحرير



مطابق: ٨٢٧٧٠٢٠٨٣٨١٥٧ - بيروت - لبنان



## مؤلفات الدكتورة نوال السعداوي من منشورات دار الآداب

- امرأتان في امرأة
- موت الرجل الوحيد على الأرض
- امرأة عند نقطة الصفر
- أغنية الأطفال الدائرية
- موت معالي الوزير سابقاً
- الخيط وعين الحياة
- الغائب
- كانت هي الأضعف
- مذكرات طيبة
- تعلمت الحب
- حنان قليل
- لحظة صدق